إلى مَن أقدِّم تاريخ وتراجم هؤلاء الرجال ؟

كل من يقرأ كلامي هذا فلا يعدو ان يكون أحد رجلين : ـ

اما رجل جعل الحقيقة نصب عينيه ، وتحصيلها مقصوده ، وجعلها فوق الرجال بها يوزنون ولا توزن بهم .

وحسب هذا الرجل أني بذلت جهدي ما استطعت للوصول إليها وتقديمها له مستنداً الى الادلة ، والبراهين ، وموثقاً لها بالرجوع الى أصولها ومصادرها الأولى ، فان كان فيما ذكرته ما اردت من اظهار للحقيقة : فبها والله الحمد ، وان كانت الأخرى فحسبي أجر من اجتهد واخطأ .

واما رجل نزع الحقيقة من نصب عينيه ، واستبدل بها أصناماً بشرية وأوثاناً أنسية صار همه كل همه تقديسهم ، ومراده كل مراده ذب الشبهات عنهم ونفي الخطأ منهم ، وجعلهم في منزلة تأبى الشبهات ان تصل الى أقدامهم .

مثل هذا الرجل لا اتعب نفسي بتوجيه حديثي اليه ، لاني أعرف سلفاً رفضه له ومن العبث أن أوجه كلامي الى من اعرف سلفا رفضه له ومحاربته اياه .

لا أرفض توجيه حديثي اليه ابداً ولكن الى أمد الى أن يفتح الله على بصيرته ويزيل عن عينيه الغشاوة ويرجع الى المنهج السليم في تقدير الرجال .

ذلكم ان حياة الرجل تصبح ملكاً له ما دامت خاصة به فاذا تجاوزت هذه المرحلة واصبحت حياته جزءاً من التاريخ فان الحديث عنها أمانة في اعناق الدارسين لا يفك رقابهم منها الا قول الحقيقة من غير تجن أو تعد ، أو تزلف أو نفاق فكلاهما منهج ضال والمنهج الحق وسط بينهما : قول الحق والحقيقة مهما أدّيا اليه ومهما صاح بك من يجهر أعينهم نور الحقيقة .

أولاً : جمال الدين الأفغاني

اسمه :

جمال الدين بن صفدر الحسيني الافغاني ،

وصفدر لفظ فارسي من القاب الامام علي رضي الله عنه عند الشيعة ومعناه مقتحم الصف وقد حرف هذا الاسم من كتبوا ترجمته بالعربية فقالوا : ـ « صفتر »[١] .

زعم تلميذه الشيخ محمد عبده ان نسبه ينمي الى السيد علي الترمذي المحدث المشهور ويرتقي الى سيدنا الحسين بن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه[٢] وقال بهذا الزعم ايضاً مصطفى عبد الرازق[٣] ومن سمى نفسه بالمؤرخ الكبير عبد الرحمن الرافعي[٤] وقال به ايضاً تلميذه محمد المخزومي[٥] وغيرهم .

---

(١) مصطفى عبد الرازق : في ترجمته لجمال الدين الافغاني بصدر مجلة العروة الوثقى ص ١٧ .

(٢) تاريخ الاستاذ الامام محمد عبده : للسيد محمد رشيد رضا الجزء الأول ص ٢٧ .

(٣) مصطفى عبد الرازق : المرجع السابق ص ١٧ .

(٤) جمال الدين الافغاني : للمؤرخ الكبير عبد الرحمن الرافعي ص٥ .

(٥) خاطرات جمال الدين الافغاني : للشيخ محمد المخزومي ص ٧ .

ولم اجد في كتب الحديث وعلومه من يسمى بـ« علي الترمذي » وينمي نسبه الى الحسين بن علي بن ابي طالب سواء كان هذا المحدث مشهوراً أو مغموراً .

ثم أي علاقة بين « الترمذي » وهو من خراسان وبين الحسين بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهما وهو قرشي من مكة ؟!

لذلك فلا عجب ان يكتب ابو الهدى الصيادي من الآستانة الى السيد رشيد رضا قائلاً : ـ

« اني أرى جريدتك طافحة بشقاشق المتأفغن جمال الدين الملفقة وقد تدرجت به الى الحسينية التي كان يزعمها زورا ، وقد ثبت في دوائر الدولة رسميا انه ما زندراني من اجلاف الشيعة . . . »[1] .

ثم نقول بعد هذا أي فضل للرجل بهذا النسب عند من دينه ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[2] وخوطب نبيه بقوله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾[3] .

مولـــده :

ولد سنة ١٢٥٤ هـ ـ ١٨٣٨م وأول ما يصادف المؤرخ لحياة هذا الرجل من غموض الخلاف في مكان مولده هل ولد في اسعد آباد قرية من قرى كير من اعمال كابل في افغانستان أو في أسد آباد قرب همدان احدى مقاطعات ايران فيكون ايرانياً لا افغانياً وانما آثر ان ينسب نفسه ـ كما قال بروكلمان ـ الى افغانستان لاسباب سياسية[4] أو أن والده ضابط ايراني أوفدته

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام محمدعبده : للسيد محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٩٠ .
(٢) سورة الحجرات الآية : ١٣ .
(٣) سورة الشعراء الآية : ٢١٤ .
(٤) تاريخ الشعوب الاسلامية : كارل بروكلمان جـ ٤ ص ١٠٣ .

حكومته الى بلاد افغان فتزوج هناك[1] .

ولا أحسب ان للبحث عن اصل الرجل أي رجل اهمية اذا ما حسنت عقيدته وصفت سريرته واستقامت سيرته ، ولكن قد يلزم البحث عن هذا اذا كان ذلك الرجل هو الذي اراد تعمية اصله ونسبة نفسه الى غيره مع غموض في اتصالاته وعلاقته وانشطته فيجب على الباحث تحري هذا لمعرفة السبب الدافع له الى هذه التعمية فقد يكون وراء الاكمة ما وراءها .

اذن فهناك امور ثلاثة نراها بارزة في نسبة الرجل واصله :-

أولها : ان اسم والده « صفدر » وهو لفظ فارسي من القاب الامام علي رضي الله عنه عند الشيعة ولا يوجد إلا بين الشيعة[2] .

ثانيها : انه لا صحة لانتسابه الى الحسين بن علي رضي الله عنهما من طريق « علي الترمذي » وانما انتحل هذا لاضفاء قداسة باطلة على شخصه .

ثالثها : انه ايراني لا افغاني كما ينسب نفسه وسيتضح لنا هذا فيما بعد - ان شاء الله - وإنما نسب نفسه إلى أفغانستان لأسباب غير ظاهرة .

جمال الدين في افغانستـــان :-

ولا نعرف مصدراً لتأريخ نشأة الرجل - هذا - الا ما تحدث به عن نفسه الى تلاميذه فقالوا مثلا انه لما بلغ الثامنة من عمره اجلسه والده لطلب العلم وعني بتربيته فأيد العناية به اشراق في قريحته وذكاء في مدركته فتلقى علوماً جمة برع في جميعها فمنها العلوم العربية وعلوم الشريعة وعلوم عقلية من منطق وفلسفة وعلوم رياضية ونظريات الطب والتشريح[3] .

---

(١) مصطفى عبد الرازق : مرجع سابق ص ١٩ .

(٢) جمال الدين الأسد آبادي : ميرزا لطف الله خان ص ١١ .

(٣) تاريخ الاستاذ الامام : للسيد رشيد رضا جـ ١ ص ٢٧ - ٢٨ .

واستكمل الغاية من دروسه في الثامنة عشرة من عمره ثم سافر الى الهند فأقام بها سنة تعلم في خلالها شيئاً من العلوم الاوروبية واساليبها[1] .

وعرض له وهو في الهند ان يؤدي فريضة الحج فاتجه الى مكة المكرمة وقضى نحو سنة يتنقل في البلاد ويتعرف احوالها وعادات اهلها حتى وافى الى مكة المكرمة سنة ١٢٧٣ هـ ١٨٥٧ م وأدّى الفريضة[2] ثم عاد الى بلاده ودخل في سلك رجال الحكومة على عهد الامير دوست محمد خان وبعد وفاته تنازع اولاده في الامارة فانضم جمال الدين الى محمد اعظم الذي احله محل الوزير الاول ولكن النصر كان في النهاية حليف شير علي . لتأييد الانكليز له فهرب محمد اعظم الى ايران وبقي جمال الدين في افغانستان لم يمسسه الامير بسوء الا انه خشي الانتقام منه فاستأذن للحج فأذن له فرحل الى الهند سنة ١٢٨٥ هـ ١٨٦٩ م[3] .

رحـلاتـه :

في الهنـــد :

كان يريد من رحلته الى الهند الاقامة بها من غير ظهور وبكل بساطة وقد كانت الهند تحت الاستعمار البريطاني فكانت دهشته عظيمة عندما رأى الحكومة الهندية تستقبله على الحدود استقبالا رسميا ليس له مبرر[4] ولكنهم لم يسمحوا له بالاقامة الطويلة في الهند فمكث فيها نحو شهر ثم سيّرته على حسابها في احد مراكبها الى السويس (١٢٨٦ هـ - ١٨٧٠م) .

في مصـــر

كانت تلك اول زيارة له الى مصر فأقام بها اربعين يوماً تردد فيها على

---

(١) العروة الوثقى : مصطفى عبد الرازق ص ١٩ .
(٢) جمال الدين الافغاني : عبد الرحمن الرافعي : ص ٦ .
(٣) خاطرات جمال الدين الافغاني . محمد المخزومي ص ٩ .
(٤) المرجع السابق ص ١٠ .

الازهر واتصل به بعض طلبة العلم السوريين فقرأ لهم شرح كتاب الاظهار ثم سافر الى الاستانة سنة (١٢٨٧ هـ ١٨٧٠م) .

في الآستانــة :

لما وصل الى الآستانة اقام بها مجهول المكان حتى اهتدى اليه بعض اكابر الوزراء فعينه عضوا في مجلس المعارف[١] وفي رمضان سنة ١٢٨٧ هـ القى خطاباً في دار الفنون في الحث على الصناعات شبه فيه المعيشة الانسانية ببدن حي وان كل صناعة بمنزلة عضو منه فشبه الملك بالمخ والحدادة بالعضد والزراعة بالكبد والملاحة بالرجلين وغير ذلك ثم قال : ـ « ولا حياة لجسم الا بروح وروح هذا الجسم اما النبوة واما الحكمة »[٢] مما اهاج عليه شيخ الاسلام حسن فهمي افندي وعدداً من العلماء والوعاظ في المساجد محتجين على جمال الدين بأنه جعل النبوة صنعة وانتهى الأمر بأن اشير على جمال الدين بالجلاء عن الآستانة ريثما تسكن الخواطر فسافر الى مصر في أول سنة ١٢٨٨ هـ ١٨٧١م .

في مصـــر :

وصل الى مصر فرحبت به الحكومة المصرية واجرت له راتباً شهرياً بلا عمل . وكانت اقامته في مصر هذه المرة حافلة بالانشطة العلمية والسياسية فالقى كثيراً من الدروس في الادب والمنطق والتوحيد والفلسفة وعلم التصوف واصول الفقه والفلك[٣] حتى ذاع صيته واتصل بكبار القوم وانخرط في الماسونية وكان له تأثير في سياسة البلاد وكتب في الصحف التي ساهم في انشائها تارة تحت اسم « مظهر بن وضاح » وباسمه الصريح تارة أخرى .

كانت سياسة البلاد الحالية آنذاك تحت الادارة البريطانية فكانت

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ ص ٤٠ .
(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ٣٠ ـ ٣١ .
(٣) العروة الوثقى ص ٢١ .

مولای انت الحق وانت تقول الحق يا كان لك تجد من ترشد وتهتدون
السداد ولا تتهاون في فريضة العدل ولا تقصر في واجبات كمال النفس
وظهارتها وتصديع بالصدق وتقول الحق لا يأخذك فيه لومة لائم
ولا يلويك عنه جبهة ظالم ولا يسدك خشية عاتم ولا تتلو قبيحا وتأتي
خوفا من الجائرين وتستحيا للخائنين — وانت كنت تعلم
حقيقة تجاسرنا وأسباب وسبب وقوع الفساد فيه ما كان
مخفي عليك شيء وكنت عارفا بخفيات الامور بواقع امري معنا
على سريرتي وسري — فكيف صبرت مع كونك مجبورا على الحق
مقصورا على حمايته ان ينسب عثمان تابك الى عثمان تابك الصابط
ما نسب من الاكاذيب والافتعالات وقال افتراء وكذبا
انى كنت رئيسا على مجمع قد وضع اساسه على فساد الدين والدنيا
حتى ادعى الحاذر طلبورية الى قوله فاسمر بنفي ما شنع بصورة
— اشتكك يهاب ان يقول الحق ويخشى ان يصدع بالصدق
— اشتكك يكتم الشهادة — اشتكك يتوهم يرى المسلم
ويتهاون في رفعه ويتقاصر في دفعه — هاتاك هاتاك
هاكذا الظن بك ولكن... — ثم يا مولاى ارسلت (العارف) الى صاحب العدسة ليأخذ
لقبض اموالى ولبنى التى بقيت عنده فارجو رجاء من يعتقدك
اهل لكل ان تتطلع نظر الله بنظر عنايتك كما هو سجيتك
وعادتك — وانا الآن فى القفال اذهب الى لندن ومنها
الى باريس مسلما عليك سلام المشتاق اليك

صورة رقم (١)

كتابات السيد قد اوغرت عليه صدر مستر فيفيان قنصل انجلترا واوغرت صدر توفيق باشا لاعتقاده ان كتابات السيد تؤدي الى زعزعة حكمه وبالاضافة الى هذا فقد كان السيد منبوذاً من علماء الأزهر الذين رأوا في تعليمه الفلسفة وبعض آرائه فسقاً فصدر الأمر بنفيه وجاء في القرار : « انه رئيس جمعية سرية من الشبان ذوي الطيش مجتمعة على فساد الدين والدنيا »[1] (انظر الصورة رقم « ١ ») وعند نزوله الى الباخرة اتاه قنصل ايران فعرض عليه بعض المال فرفضه ثم ابحر الى الهند واقام بحيدر آباد سنة (١٢٩٦ هـ - ١٨٧٩ م) .

في الهنـــد :

اقام في حيدر آباد عاما ألّف خلاله رسالة في « الرد على الدهريين » بالفارسية ولما قامت الثورة العرابية في مصر نقل من حيدر آباد الى كلكتا لاعتقاد الحكومة الانجليزيـة ان له فيها يدا ثم ابيح له ان يسافر الى حيث شاء فسافر الى لوندرا « لندن » فأقام بها اياماً ثم سافر الى باريز سنة (١٣٠٠ هـ - ١٨٨٣م .

في بـــاريس :

اقام في باريس ما يزيد عن ثلاث سنوات عهدت جمعية العروة الوثقى له فيها ان ينشىء جريدة « العروة الوثقى » فاستدعى الامام محمد عبده الذي كان منفياً في سوريا فاصدرا الجريدة وكان جمال الدين مديراً لسياستها ومحمد عبده رئيسا لتحريرها سنة ١٣٠١ هـ - ١٨٨٤م ولكن الجريدة لم تلبث الا سبعة اشهر وايام لمحاربة الاستعمار البريطاني لها ثم توقفت وعاد محمد عبده الى سوريا ثم الى مصر معتزلاً السياسة ومكث السيد في باريس متردداً بينها وبين لندن والتقى في باريس بالفيلسوف الأوربي رينان ثم دعاه ناصر الدين شاه ايران الى طهران فاتجه اليها سنة ١٣٠٤ هـ - ١٨٨٧م .

---

(١) جمال الدين الافغاني عبد الرحمن الرافعي ص ٤٦ .

في ايـــران :

وفوض اليه الشاه نظارة الحربية ، وتزاحم حوله الأمراء والمجتهدون والكبراء وتمكن من نظم كثير منهم في سلك الماسونية[1] . لكن الشاه ناصر الدين اوجس منه خيفة وداخله ريب من حركاته ونشاطه فادرك السيد ما في نفسه فاستأذن في السفر الى روسيا فأذن له سنة ١٨٨٧م .

في روسيـــا :

كان له في روسيا نشاط صحفي نشر كثيراً من المقالات عبر الصحف الروسية واجتمع في بطرسبرج « لنجراد » بكبار العلماء والسياسيين وقد مكن له نقده لسياسة الانجليز مكانة في روسيا حتى ان القيصر دعاه الى قصره وتحادث معه طويلاً فرابه منه ما راب ناصر الدين شاه فأوعز الى موظفيه بطرده فاتجه الى باريس سنة ١٣٠٦ هـ - ١٨٨٩م .

في ميـونـخ :

وفي طريقه الى باريس التقى في ميونخ عاصمة بافاريا « المانيا » بالشاه ناصر الدين الذي طلب منه العودة الى ايران فاعتذر بذهابه الى معرض باريس فالح عليه الشاه فذهب معه[2] سنة ١٣٠٦ هـ - ١٨٨٩م .

في ايـــران :

لما وصل الى ايران عاد الناس الى الاجتماع به وتلقي مبادئه وافكاره وعهد اليه الشاه ان يسن ما يراه موافقاً لروح العصر من القوانين فلما اطلع عليها الشاه بعد ذلك رأى ان حكمه سيكون مقيداً[3] فعاودته الشكوك والظنون في جمال الدين الذي شعر بهذا فاستأذن بالذهاب الى شاه عبد العظيم قرب

---

(١) العروة الوثقى ص ٢٥ .

(٢) تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ ص ٥٥ .

(٣) خاطرات جمال الدين الافغاني . محمد المخزومي ص ٣١ .

طهران فأذن له فتبعه جم غفير من العلماء والوجهاء فخاف الشاه عاقبة ذلك فنفاه الى خارج الحدود الى البصرة سنة ١٣٠٨ هـ - ١٨٩١م .

في البصـــرة :

اقام فيها سبعة اشهر والى الكتابة فيها الى انصاره في فارس واثار فيهم الحمية لخلع الشاه ناصر الدين غادر بعدها البصرة الى لندره (لندن) سنة ١٣٠٩ هـ - ١٨٩٢م .

في لنـــدن :

اقام فيها ثمانية اشهر موجهاً همته الى محاربة الشاه ناصر الدين . وكان من المؤسسين لمجلة « ضياء الخافقين » وسلمه سفير تركيا في لوندرا كتابا من السلطان عبد الحميد يدعوه الى الآستانة فسافر اليها سنة ١٣١٠ هـ - ١٨٩٢م .

الى الآستـــانـــة :

وكانت المحطة الاخيرة في رحلاته هي الآستانة ولقي فيها كل ترحيب وتكريم الا أنه منع من مغادرتها واجرى له فيها السلطان راتباً شهرياً الى ان توفي سنة ١٣١٤ هـ - ١٨٩٧م .

نشاطه العلمـي :

يعد من المميزات للسيد جمال الدين الافغاني انه احدث نهضتين اجتماعيتين :-

نهضة اجتماعية علمية ونهضة سياسية[1] . وكان الغالب على نشاطه الثانية منهما ولم يقم احد من تلاميذه من بعده بالامرين . بل انشطروا الى

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ ص ٧٤ .

شطرين ذهبت طائفة الى الاخذ بالنهضة العلمية ويقف على قمة هذا الفريق الامام محمد عبده . وذهبت طائفة اخرى الى الاخذ بارائه السياسية وعلى رأسهم مصطفى كامل وفريد ثم سعد زغلول[1] وغيرهم .

وبدأ السيد نشاطه العلمي ـ كما ذكرنا ـ في افغانستان وواصل دراسته في الهند . هذا من ناحية التلقي أما من ناحية التعليم فقد بدأ اول ما بدأ في الهند عند خروجه في المرة الثانية حيث القى بعض الدروس ولم تكن تلك الفترة من الكفاية بحيث يظهر اثرها واضحا اذ لم يلبث سوى شهرٍ واحدٍ غادر بعدها الى مصر حيث وفد عليه بعض طلبة العلم في الازهر من السوريين فشرح لهم كتاب الاظهار وهو كتاب في النحو وكانت تلك الفترة كسابقتها حيث غادر الى الآستانة ثم عاد الى مصر مرة ثانية حيث ازداد نشاطه العلمي وبلغ اوجه فبدأ التدريس في الازهر وقد كان يلقي فيه من الدروس ما احفظ عليه بعض علماء الازهر فناظره احدهم مناظرة افضت الى المنافرة فترك الازهر وانقطع للتدريس في منزله[2] فقرأ من الكتب العالية في فنون الكلام الأعلى والحكمة النظرية طبيعية وعقلية وفي علم الهيئة الفلكية وعلم التصوف وعلم اصول الفقه الاسلامي[3] وقد وصف الامام محمد عبده منزلة جمال الدين من العلم فقال : ـ

« اما منزلته من العلم وغزارة المعارف فليس يحدها قلمي الا بنوع من الاشارة اليها لهذا الرجل سلطة على دقائق المعاني وتحديدها وابرازها في صورها اللائقة بها كأن كل معنى قد خلق له وله قوة في حل ما يعضل منها كأنه سلطان شديد البطش فنظرة منه تفكك عقدها . . . » ثم يقول : ـ

« وله لسن في الجدل وحذق في صناعة الحجة لا يلحقه فيهما احد »[4] .

---

(١) زعماء الاصلاح في العصر الحديث احمد امين ص ١١٥ ـ ١١٦ .
(٢) تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ ص ٤٠ .
(٣) المرجع السابق جـ ١ ص ٣٢ .
(٤) تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ ص ٣٤ .

ثم سافر بعد مصر الى الهند وكان له فيها حلقة للتدريس لكنها لا تماثل حلقته في مصر واشتغل فيها بالتأليف عن التدريس .

مؤلفـــاتـــه :

لم يكن للسيد اهتمام كبير في التأليف بل كان همه ان يلقي كلماته وخطبه على تلاميذه القاءً فيبادر بعضهم الى تسجيلها وتدوينها بل ذكر بعض تلاميذه انه : ـ « قضى ولم يدون الا رسالة في ابطال مذهب الدهريين »[1] وقال عنه اديب بك اسحاق « ولكنه لم يتم عملا ولا الف كتابا غير تلك الرسالة »[2] والحقيقة انه دون غير رسالته « الرد على الدهريين » التي الفها بالفارسية في حيدر آباد . فقد دون رسالة صغيرة له اسماها « تتمة البيان في تاريخ الافغان » وقد طبعت في مصر وما عدا هاتين الرسالتين فمقالات نشرها في الصحف والمجلات طبع بعضها مستقلاً وكان لاشتراك الامام محمد عبده معه في مجلة « العروة الوثقى » وعدم تسمية صاحب كل مقال فيها كان له اثر كبير في الخلط في نسبته الى صاحبه فبحث « التعصب » نشر باسم الامام مع انه من إنشاء جمال الدين وهناك كتاب اكثر شهرة اعني « الاسلام دين العلم والمدنية » من بين فصوله « الاسلام والنصرانية » وهو من تأليف الافغاني[3] وقد ضم المخزومي في الخاطرات هذين المقالين الى خاطرات جمال الدين الذي دون فيه المخزومي اراء وافكار الافغاني وقد طبع طباعة مستقلة بعض مقالاته مثل الوحدة الاسلامية والقضاء والقدر اما اذا رمت الاطلاع على معظم ما كتبه فعليك بـ « خاطرات جمال الدين الافغاني » لتلميذه محمد المخزومي و « الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغاني » لمحمد عمارة و « العروة الوثقى » وانما قلت معظم ما كتبه لان هناك من كتاباته في بعض المجلات ما لم يدون اذكر مثالاً لذلك ما كتبه في الصحف الروسية .

---

(١) خاطرات جمال الدين الافغاني محمد المخزومي ص ٤٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٤ .

(٣) الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغاني جمع محمد عمارة ص ١١٨ ـ ١١٩ .

تفسيـــره :

قلنا ان الغالب على نشاط السيد الافغاني هو النشاط السياسي وأنه انما يتناول ما يتناول من العلم في دروسه ما يدفع به عجلة السياسة خطوة نحو اغراضه واهدافه وقد تعرض له في اثناء حديثه آية قرآنية يستشهد بها لتقوية رأيه ثم يذهب في تفسيرها تفسيراً يقتصر فيه على الجانب الذي يتكلم فيه من غير استقصاء لمعانيها .

ومن ثم فلم يكن له تفسير مستقل وانما كان تفسيره آية هنا وآية هناك بين ثنايا مقالاته .

ويقلل السيد جمال الدين من شأن ما تراكم على القرآن الكريم وتجمع حوله من آراء المفسرين وما استنبطوه من احكام فيقول « القرآن وحده سبب الهداية والعمدة في الدعاية أما ما تراكم عليه وتجمع حوله من اراء الرجال واستنباطهم ونظرياتهم فينبغي ان لا نعول عليه كوحي وانما نستأنس به كرأي . . » ويحذر من اضاعة الوقت في عرض ذلك فيقول « ولا نحمله على اكفنا مع القرآن في الدعوة اليه وارشاد الامم الى تعاليمه لصعوبة ذلك وتعسره واضاعة الوقت في عرضه »[1] .

وهو لا يعني بهذا السنة المتواترة أو ما اجمع عليه العلماء حيث يقول « فالتواتر والاجماع واعمال النبي المتواترة الى اليوم هي السنة الصحيحة التي تدخل في مفهوم القرآن وحده والدعوة الى القرآن وحده »[2] .

وهو يدعو الى دراسة القرآن والكشف عن كنوزه المدفونة فيقول : ـ

« القرآن القرآن واني لآسف اذ دفن المسلمون بين دفتيه الكنوز وطفقوا في فيافي الجهل يفتشون على الفقر المدقع »[3] ولكنه يتأسف على التعمق

---

(١) جمال الدين الافغاني عبد القادر المغربي ص ٦٢ ـ ٦٣ .
(٢) المرجع السابق ص ٦٢ .
(٣) خاطرات جمال الدين الافغاني محمد المخزومي ص ٩٩ .

في تفسير باء البسملة ومخرج صاد الصراط « وكيف لا اقول وا اسفاه ! واذا نهض احد لتفسير القرآن فلا اراده الا يهيم بباء البسملة ويغوص ! ولا يخرج من مخرج حرف صاد الصراط حتى يهوي هو ومن يقرأ ذلك التفسير في هوة عدم الانتفاع بما اشتمل عليه القرآن من المنافع الدنيوية والاخروية مع استكماله الامرين على اتم وجوههما »[1] ويرى ان القرآن بريء من مخالفة الحقائق العلمية الثابتة « فاذا لم نر في القرآن ما يوافق صريح العلم والكليات اكتفينا بما جاء فيه من الاشارة ورجعنا الى التأويل »[2] .

وهو مع حثه على التفسير ودعوته الى تنقيحه مما علق به مقل فيه فلا يتناول من الآي الا ما قل ولا يفسره الا من جانب ما يؤيد به قوله من غير بيان للجوانب الأخرى .

وقد صدر السيد جمال الدين سبع عشرة مقالة من خمس وعشرين مقالة في العروة الوثقى بآية أو آيتين من القرآن الكريم اعتقدها بعضهم شرحاً وتفسيراً وليس كذلك فقل ان يعرض في المقالة للآية المصدرة .

أما الآيات التي تناولها بنوع من التفسير فقليل جداً كما ذكرنا توجد بين ثنايا بعض مقالاته فمن ذلك قوله : ـ

« قرأت في القرآن أمراً تغلغلت في فهمه روحي وتنبهت اليه بكليتي وهو ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً . . ﴾[3] فاندهشت الملائكة لهذا النبأ ولهذه المشيئة الربانية اذ علمت ان ذلك الخليفة سيكون الانسان وان ذلك الانسان ـ الخليفة ـ سيصدر منه موبقات وسيئات اعظمها واهمها انه « يَسْفِكُ الدِّمَاءَ « فقالت بملء الحرية المتناسبة مع الملأ الأعلى وعالم الانوار والأرواح الذي لا يصح ان يكون هناك شيء من رياء

---

(١) المرجع السابق ص ٩٩ .

(٢) المرجع السابق ص ١٠٠ .

(٣) سورة البقرة من الآيتين : ٣٠ ، ٣١ .

ونفاق « أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ »[1] ووقفت الملائكة عند هذا الحد من الطعن في الانسان ولم تذكر باقي السيئات من اعماله اذ رأتها لغوا بالنسبة لهذين الوصمين الفساد وسفك الدماء » ثم يمضي في التفسير على هذا المنوال الى ان يقول « وبأبسط المعاني ان الله تعالى افهم الملائكة انكم علمتم ما في خليفتي في الأرض وهو الانسان من الاستعداد لعمل الفساد وسفك الدماء وجهلتم ما اعددته لصونه وصرفه عن الاتيان بالنقيصتين المذكورتين ألا وهو العلم فقال « وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَال انْبِئُونِي بِأَسْمَاء هٰؤُلاْءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْن »[1][2] .

ويفسر آيات اخرى فيقول « غضب سليمان عليه السلام على الهدهد اذ تفقده ولم يجده فلما حضر قال ﴿ جِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾[3] ـ غير ملفق ولا مشوب بكذب كما تفعل اكثر الجواسيس مع الملوك والحكام ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ دينهم ومعتقدهم ﴿وَجَدتُّها وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ » ثم يقول بعد ذلك « فلما جاء الكتاب الى ملكة سبأ جمعت فوراً مجلس الأمة و﴿ قَالتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُون ﴾ وبعد ان تداول مجلس الأمة ـ الوزراء اليوم مثلا ـ واستخرجوا احصاءً من سجلاتهم بما عندهم من المعدات الحربية اعلنوا الملكة وانبؤوها انه في امكانهم محاربة سليمان بما توفر لديهم من القوة اذا هي وافقت على اعلان الحرب ﴿ قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ ، ثم يمضي بعد فيقول « فرد سليمان الهدية وتحفز لاخراج الملكة وقومها اذلة بالحرب واراد ان يريها ما لديه من القوى وما تسخر له من رياح يمتطيها وتجري بأمره ـ طيارات مثلاً ـ

---

(١) سورة البقرة من الآيتين ٣٠ ، ٣١ .
(٢) خاطرات جمال الدين الافغاني ص ٩٢ ـ ٩٣ .
(٣) سورة النمل من الآية ٢٢ .

وسرعة نقل الاخبار والاشياء بأسرع من البرق ـ التلغراف اللاسلكي مثلاً »[1] .

وكان يشطح في تفسيره فيفسر الربا المحرم في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً ﴾[2] بـ « جواز الربا المعقول الذي لا يثقل كاهل المديون ولا يتجاوز في برهة من الزمن رأس المال ويصير اضعافاً مضاعفة »[3] .

ويفسر « جَدّ » في قوله تعالى ﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا ﴾[4] ان جَدّ معرب « كدّ » ومعناه العرش بالفارسية او الهندية[5] .

ويفسر ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لَا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ [6] بأنه « قيّد من خاف ان لا يعدل «بالمرأة الواحدة»وترك لمن يخشى ان لا يعدل ـ حتى مع الواحدة ـ عدم الزواج وهذا ما يستنتجه العقل ما دام يحمله العاقل ويقول به الحق والعدل »[7] .

ويفسر الامور الغيبية من غير نص فيقول ﴿ وَتَرَىٰ الْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾[8] « أي خارجة عن محورها غير راضخة للنظام الشمسي واذا ما حصل ذلك فلا شك يختلف ما عرف من الجهات اليوم فيصير الغرب شرقاً والجنوب شمالاً وبذلك الخروج عن النظام الشمسي وما يحدثه من الزلزال العظيم ـ لا شك تتبعثر اجزاء الارض لبعدها عن المركز وتنسف الجبال نسفاً وتتحول براكين

---

(١) خاطرات جمال الدين الافغاني ص ١٠٠ ـ ١٠١ .
(٢) سورة آل عمران من الآية : ١٣٠ .
(٣) جمال الدين الافغاني محمود ابو رية ص ٩٨ .
(٤) سورة الجن من الآية الثالثة .
(٥) جمال الدين الافغاني عبد القادر المغربي ص ١١٠ .
(٦) سورة النساء من الآية الثالثة .
(٧) جمال الدين الافغاني محمود ابو رية ص ١٠٠ .
(٨) سورة الكهف من الآية ٤٧ .

هائلة وبالنتيجة تخرب الكرة الارضية ويعمها الفناء بما فيها من حيوان وتقوم القيامة والله اعلم »[1] .

وقد وجدت من تفسيره غير ما ذكرت .

تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا غَنِمْتُمْ مِن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ ﴾[2] الآية في الخاطرات ص ١٢٢ .

وتفسيره لقوله تعالى ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم ما اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾[3] في العروة الوثقى ص ١٢٩ .

وتفسيره لقوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾[4] في العروة الوثقى في مقالته « سنن الله في الأمم » .

وانما اطلت في بيان تفسيره لأنه مرادنا منه ولأني لم اجد أحداً ممن أرخوا له أو كتبوا عنه اشار الى تفسيره فضلاً عن جمعه وترتيبه له .

نشاطه السياسي :-

قلنا ان هذا النشاط هو الغالب على اعمال السيد الافغاني وقد كان مقصده السياسي الذي وجه اليه افكاره وأخذ على نفسه السعي اليه مدة حياته هو انهاض دولة اسلامية من ضعفها وتنبيهها للقيام على شؤونها حتى تلحق الامة بالأمم العزيزة والدولة بالدول القوية فيعود للاسلام شأنه »[5] وقد كانت الوسيلة لتحقيق غاياته « الثورة السياسية لاتفاقها مع مزاجه وقد ظن انها

---

(١) خاطرات جمال الدين الافغاني محمد المخزومي ص ١٠٤ .
(٢) سورة الانفال من الآية : ٤١ .
(٣) سورة الانفال من الآية : ٦٠ .
(٤) سورة الرعد من الآية : ١١ .
(٥) تاريخ الاستاذ الامام : للسيد محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٣٤ .

اسرع الطرق للوصول الى ما يبتغيه »[1] .

وقد خالفه في الاسلوب ـ هذا ـ تلميذه محمد عبده الذي يرى ان الوسيلة هي اصلاح التعليم لا الثورة السياسية .

ومن اهم الآراء التي تنسب الى الافغاني وكان يدعو اليها : الدعوة الى الوحدة الاسلامية واقامة جامعة اسلامية تنضوي تحت لوائها دول العالم الاسلامي توحد كلمتها واهدافها : ـ

وانما قلت تنسب اليه لاني ارى في مقالاته ومقالات تلاميذه ما يدل على انه لا يريد الجامعة الاسلامية بل الجامعة الشرقية التي تجمع دول الشرق مسلمة وغير مسلمة ضد الاستعمار فهذا السيد رشيد رضا يعلق على كلمة لجمال الدين قائلا « هذا تنبيه لوجوب تأليف جامعة شرقية لمقاومة الاستعمار الغربي ولم يفكر فيه أحد قبله »[2] ويقول في موضع آخر « وقد اشتبه على بعض الناس أمر اللهجة الاسلامية في جريدة العروة الوثقى وظنوا أن خدمتها خاصة بالمسلمين فازالا هذه الشبهة ـ يعني الافغاني ومحمد عبده ـ بعبارة نشرت في العدد الثامن[3] » من العروة الوثقى ويقول عثمان امين « ان الجامعة التي كان ينشدها الافغاني ومحمد عبده في أواخر القرن الماضي ليست هي الجامعة الاسلامية كما توهم بعض الكتاب الغربيين وانما هي في صميمها « الجامعة الشرقية »[4] » .

وقد بدأ السيد الافغاني نشاطه السياسي في افغانستان حيث انضم الى محمد اعظم ضد شير علي على ما اشرنا اليه في أول الترجمة .

أما في مصر فقد وصلها الافغاني في عهد الخديو اسماعيل سنة

---

(١) جمال الدين الافغاني : محمود ابو ريه ص ٥٢ .

(٢) ١) تاريخ الاستاذ الامام : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٢٩٢ .

(٣) المرجع السابق جـ ١ ص ٢٨٩ .

(٤) عثمان امين : مقال (العروة الوثقى) مجلة العربي الكويتية عدد ٤٢ ص ٧٣

١٨٧١م وكان الحكم حينئذ ـ كما يقول المؤرخ عبد الرحمن الرافعي ـ حكما استبدادياً لا مجال فيه للحرية . حقاً إن اسماعيل انشأ سنة ١٨٦٦م مجلساً سمي مجلس شورى النواب ولكنه مجلس استشاري لا يملك سلطة »[١] .

فبدأ الافغاني أول ما بدأ ببث الوعي السياسي بين طلابه وكانوا يتناقلون ما يقول بينهم فاستيقظت مشاعر وانتبهت عقول وخف حجاب الغفلة في اطراف متعددة من البلاد وسرى هذا الشعور الى بعض الجرائد واستحدثت أخرى فتنافس الكتاب وكثر ارباب الاقلام[٢]

ومنذ ذلك الحين طارت الشرارة الأولى من شرارات الثورة العرابية[٣] وقد بذل السيد جمال الدين كل ما في وسعه للقضاء على الخديو اسماعيل لاتفاقه مع ولي عهده توفيق باشا على الاصلاح اذا صار الامر اليه بل ووصل الأمر الى تدبير خطة لاغتياله لم تنفذ ـ كما يقول محمد عبده ـ لعدم وجود الشخص الذي يتكفل بذلك « واشار الى هذا بلنت في تاريخه السري لاحتلال انجلترا[٤] مصر[٥] واعترف بهذا الامام نفسه[٦]

وانتهى نشاط الافغاني السياسي في مصر بعد أن تنازل الخديو اسماعيل لتوفيق باشا الذي تنكر لجمال الدين وأمر بنفيه .

ثم ظهر نشاطه السياسي مرة اخرى في باريس التي انشأ فيها مجلة العروة الوثقى » فجعلها منبراً لمحاربة الاستعمار البريطاني بحماس شديد .

---

(١) جمال الدين الافغاني : عبد الرحمن الرافعي ص ٢١ .
(٢) تاريخ الاستاذ الامام : للسيد محمد رشيد رضا جـ ص ٣٧ ـ ٣٨ .
(٣) تاريخ الاستاذ الامام : رشيد رضا الجزء الأول ص ٤٧ .
(٤) كتب على غلاف هذا التاريخ « راجعه ووافق على ما فيه الشيخ محمد عبده » .
(٥) التاريخ السري لاحتلال انجلترا مصر المستر بلنت وراجعه ووافق على ما فيه الشيخ محمد عبده . ص ٩٥ .
(٦) المرجع السابق ص ٣٥٤ .

وفي الحقيقة انه لم يتضح لي مع هذا حقيقة علاقته بالانجليز فبينما كان يؤلب عليهم الناس في مصر حتى يقوموا بالثورة العرابية . . ويحرض مفتي ايران على تحريم الدخان لابطال احتكار الانجليز له في ايران تمهيداً لاحتلالها ويكتب في صحف روسيا وينشىء العروة الوثقى التي تحارب الانجليز اينما حلوا وتشنع عليهم وهو مع هذا يسرح في بلادهم ويمرح ويتردد بين لندره وباريز بل وينشىء في لندن مجلة « ضياء الخافقين » بالعربية والانكليزية فيحارب الانجليز في بلادهم وبلغتهم ومع هذا يسكت عنه الانجليز !! صحيح انهم ادوا الى تعطيل العروة الوثقى لكن صاحبها لا يجد مانعا من اللجوء الى سفير بريطانيا في الآستانة ليساعده على الخروج منها[1] ولا تجد انجلترا مانعا قبل ذلك من عرضها له لتوليه السلطة في السودان[2] ويتساءل الدكتور محمد محمد حسين لماذا كانت عداوته الشديدة للاستعمار الانجليزي دون الفرنسي والهولندي فلم ترد في صحيفة العروة الوثقى اشارة للاستعمار الفرنسي للجزائر كما لم ترد فيها اشارة للاحتلال الهولندي لاندونيسيا ولم تشر الا اشارة عابرة لاحتلال الهند الصينية[3] .

أما نشاطه السياسي في ايران فقد اشرنا في رحلاته الى بعضه ونذكر هنا مظاهر ثورته السياسية على ناصر الدين شاه بعد ان رفض قانونه ونفاه من ايران الى البصرة وقد تمثلت هذه المظاهر بـ : ـ

أ) كتابته الى مفتي ايران كتابا يثير فيه مشاعره ضد ناصر الدين شاه ويطلب منه بصفته مفتي البلاد ان يصدر تحريماً للدخان[4] بسبب تعاقد الشاه

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ ص ٧٢ .

(٢) جمال الدين الافغاني محمود ابو ريه ص ٥٣ .

(٣) الاسلام والحضارة الغربية محمد محمد حسين دار الارشاد بيروت الطبعة الأولى ١٣٨٨ هـ ١٩٦٩م ص ٨٥ .

(٤) لا تنس ان السيد الافغاني كان مغرماً بالسيجار الانجليزي ولشدة ولعه به كان لا يركن الى أحد من خدمه في ابتياعه ، فيبتاعه هو بنفسه (خاطرات الافغاني ص ٤١) .

مع انجلترا لاحتكاره فحظى هذه الخطوة بالنجاح وتلغى الاتفاقية .

ب) ثم يكتب الافغاني بعد هذا الى علماء ايران مطالباً بخلع ناصر الدين شاه ولما لم ينجح بهذا .

جـ) نسب اليه بأدلة قوية تدبيره قتل ناصر الدين شاه .

نشاطه الصحفـــي :

كان السيد جمال الدين يكره الكتابة ويتثاقلها فلم يكن له عناية بالتأليف ووجه عنايته فيما يريد تدوينه الى الصحف فكانت معظم كتاباته في الصحف والمجلات فاذا رام انشاء مقالة القى على كاتب مثل ابراهيم اللقاني إلقاءً قل ما يراجعه ويصلحه[١] .

وقد كان للسيد جمال الدين نشاط كبير في انشاء عدد من الصحف في مصر وغيرها فكان اول عهده بالصحافة في مصر حيث كان له اليد الطولى في انشاء صحيفة (مصـر) الاسبوعية التي ظهرت سنة ١٨٧٧م وعهد بادارتها الى اديب اسحاق ثم اوعز الى اديب بنقلها من القاهرة الى الاسكندرية لتكون اقرب لاصطياد الاخبار ثم اوعز لاديب اسحاق وسليم نقاش بانشاء جريدة (التجارة) سنة ١٨٧٨م وساهم الافغاني بالكتابة في هاتين الصحيفتين باسمه الصريح تارة وباسم مظهر بـن وضاح تارة اخرى وامر تلاميذه بخدمة هاتين الصحيفتين قلماً وسعياً[٢] .

ثم ساهم في انشاء صحيفة « مرآة الشرق » وقد تولاها سليم العنجوري فكانت هذه الصحف طوع اشارة الافغاني ولعل سليم العنجوري اراد ان يتخلص من هذا الاسار فعزله الافغاني واسندها الى ابراهيم اللقاني الذي اصارها طوع اشارة الافغاني[٣] .

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ ص ٤٩ .
(٢) المرجع السابق ص ٤٥ .
(٣) تاريخ الاستاذ الامام ص ٤٧ .

ثم انتقل نشاطه بعد نفيه من مصر الى فرنسا حيث انشأ هناك العروة الوثقى بتكليف من جمعية بهذا الاسم وهي جمعية ذات فروع في مصر والهند وغيرهما من اقطار الشرق[1] وتولى ادارة سياستها واسند تحريرها الى تلميذه محمد عبده وصدر اول عدد منها في يوم الخميس ١٥ جمادى الأول سنة ١٣٠١ هـ الموافق ١٣ مارس١٨٨٤م وتوقفت بعد صدورها بسبعة أشهر فصدر آخر اعدادها العدد الثامن عشر في ٢٦ ذي الحجة ١٣٠١ هـ الموافق ٢٦ اكتوبر ١٨٨٤ م بسبب محاصرة انجلترا لها ومنعها من دخول مصر والهند فنضبت مواردها فتوقفت .

وكانت له كتابات صحفية في جرائد موسكو تحتفظ مكتبة الدولة بالاتحاد السوفيتي المسماة « مكتبة لينين » بالصحف والمجلات التي صدرت ما بين سنة ١٩٠٥م و ١٩١٧م ونشرت المقالات والمذكرات والابحاث عن اقامة الافغاني في روسيا[2] .

وبعد سفره الى لوندره (لندن) سنة ١٣٠٩ هـ ـ ١٨٩٢م ساهم في انشاء صحيفة (ضياء الخافقين) وهي شهرية جعلها منبراً لحرب ناصر الدين شاه ايران .

نشاطه الماسوني :

ومن منا لا يعرف الماسونية صنيعة الصهيونية العالمية التي تسعى الى القضاء على الاديان تحت شعارات براقة (حرية ، مساواة ، اخاء) .

جاء في البروتوكول الثالث من بروتوكولات حكماء صهيون : ـ « ونحن على الدوام نتبنى الشيوعية ونحتضنها متظاهرين بأننا نساعد العمال طوعاً

---

(١) العروة الوثقى ص ٢٤ .
(٢) مجلة العربي الكويتية العدد ٢٢٦ ص ٢٤ .

لمبدأ الاخوة والمصلحة العامة للانسانية ، وهذا ما تبشر به الماسونية الاجتماعية »[1] .

وفي البروتوكول الرابع « ان المحفل الماسوني المنتشر في كل انحاء العالم ليعمل في غفلة كقناع لاغراضنا . ولكن الفائدة التي نحن دائبون على تحقيقها من هذه القوة في خطة عملنا وفي مركز قيادتنا ـ ما تزال على الدوام غير معروفة للعالم كثيراً »[2] .

وفي البروتوكول التاسع « ان الكلمات التحررية لشعارنا الماسوني هي الحرية والمساواة والاخاء وسوف لا نبدل كلمات شعارنا ، بل نصوغها معبرة ببساطة عن فكره ، وسوف نقول (حق الحرية ، وواجب المساواة ، وفكرة الاخاء)وبها سنمسك الثور من قرنيه وحينئذ نكون قد دمرنا في حقيقة الامر كل القوى الحاكمة الا قوتنا ، وان تكن هذه القوى الحاكمة نظريا ما نزال قائمة »[3] .

وفي البروتوكول الخامس عشر « والى أن يأتي الوقت الذي نصل فيه الى السلطة ، سنحاول أن ننشىء ونضاعف خلايا الماسونيين الاحرار في جميع انحاء العالم ، وسنجذب اليها كل من يصير أو من يكون معروفاً بأنه ذو روح عامة وهذه الخلايا ستكون الاماكن الرئيسية التي سنحصل منها على ما نريد من أخبار كما أنها ستكون أفضل مراكز الدعاية »[4] .

واذا كانت الماسونية صنيعة الصهيونية العالمية فان اهداف الصهيونية ـ ولا أخالها تخفى ـ هدم الاديان والسيطرة على العالم بأكمله والتحكم في سياسته واقتصاده وشعوبه وفق مصالح اليهودية العالمية وتسخير كل القوى

---

(١) الخطر اليهودي : بروتوكولات حكماء صهيون : محمد خليفة التونسي ص ١٢٧ .

(٢) المرجع السابق ص ١٣١ .

(٣) المرجع السابق ص ١٤٤ .

(٤) المرجع السابق ص ١٧٣ ـ ١٧٤ .

وسلوك كل الطرق مهما كانت ملتوية .

ولا شك ان الماسونية احدى تلك السبل التي سلكوها الى هذا الهدف وجعلوها ذراً للرماد في العيون تحت شعار « حرية ، مساواة ، اخاء » وهي في الحقيقة « قيدية ، طبقية ، عداء » .

خدع كثير من الناس بهذا الشعار فدخلوها وما لبثوا ان ادركوا الغموض الذي يحيط بها فغادروها مسرعين .

الا ان السيد الافغاني قدم في ٢٢ ربيع الثاني ١٢٩٢ هـ طلباً للانضمام الى المحفل الماسوني هذا نصه :-

يقول مدرس العلوم الفلسفية بمصر المحروسة جمال الدين الكابلي[1] الذي مضى من عمره سبعة وثلاثون سنة باني ارجو من اخوان الصفا واستدعي من خلان الوفاء اعني ارباب المجمع المقدس الماسون الذي هو عن الخلل والزلل مصون ان يمنوا علي ويفضلوا الي بقبولي في ذلك المجمع المطهر وبادخالي في سلك المنخرطين في ذلك المنتدى المفتخر ولكم الفضل .

ربيع الثاني يوم الخميس
٢٢ سنة ١٢٩٢ هـ
التوقيـــع

« انظر الصورة رقم ٢ »

ولم ينسحب من المحفل بل كان من الاعضاء البارزين ذوي النشاط فيه ولذا تم اختياره بعد سنوات ثلاث رئيسا للوج كوكب الشرق بتاريخ ٧ جنايو ١٨٧٨م بأغلبية الآراء ووجهت له دعوة بهذا التاريخ لاستلام القادوم بعد اتمام ما يجب من التكريز الاعتيادي والحضور بالزي الرسمي الماسوني الاسود ورباط الرقبة والكفوف بيضاء « انظر الصورة رقم ٣ » .

ولم يكتف السيد الافغاني بهذا بل ازداد نشاطه في ميدان الماسونية

---

(١) نسبة الى كابل وهي عاصمة افغانستان فهو كابلي أو افغاني .

يقول مدرس العلوم الفلسفية بمصر الحر وسه جمال الدين الكتابي

الذي مضى من عمره سبعة وثلثون سنة باني ارجو من اخوان الصفا

و استدعي من خلان الوفا اعني ارباب المجمع المقدس الماسوني

الذي هو محل الفضل والرذل مصون ان يمنوا علي ويفضلوا الي

بقبولي في ذلك المجمع المطهر وبادخالي في سلك المنخرطين

في ذلك المنتدى المفخر ولكم الفضل والسلام

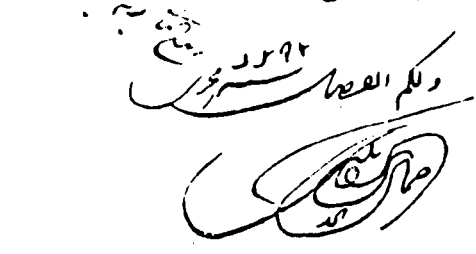

صورة رقم (٢)

لوج كوكب الشرق
نمرة
١٤٥٥

في القاهره بمصر في ٧ فبراير سنة ١٨٧٨
٥٨٧٨

الى الاخ جمال الدين محترم

الله لمعلوم لديكم بان في جلسة ٢٨ الماضي وباغلبية الاراء صار انتخابكم رئيس محترم لهذا اللوج لهذا العام ولذا اقدم تهنيتي وتهنئي زوائنا على هذا الحظ العظيم وعن امر الرئيس محترم الحالي ادعوا خوتكم للحضور يوم الجمعه القادم ١١ الجاري الساعه عربي بعد الغروب الى محل هذا اللوج لاجل استلامكم القادوم بعد اتمام ما يجب من التكريز الاعتيادي تحت بصيرة يوم الخميس ١٠ الجاري الساعه افرنكي وتكريز رئيس محترم لوج كونكورديه فالرجا حضوركم في اليوم المذكور للاشتراك في الاشغال وفي الحالتين فلا بد منكم تكون سوداً ورباط الرقبه والكفوف بيضا واقبلوا منا العناق الاخوي ..

كاتب سر
نقولا
شدود
م

صورة رقم (٣)

فاعتزل هذا المحفل الاسكتلندي وانشأ محفلاً وظنياً تابعاً للشرق الفرنساوي وفي برهة وجيزة بلغ عدد اعضائه العاملين اكثر من ثلاثمائة »[1] .

ولم يزل يبذل جهوده في هذا الميدان حتى صدر الامر بنفيه في ٦ رمضان سنة ١٢٩٦ هـ ٢٤ اغسطس ١٨٧٩م وجاء في القرار « انه رئيس جمعية سرية من الشبان ذوي الطيش مجتمعة على فساد الدين والدنيا »[2] . وكتب الى بعض الشخصيات من غير أن يذكر اسما يستنجد بها مما حلّ به ويزعم أنه مظلوم فيما نسب اليه . « انظر الصورة رقم ١ » .

ونفي من بعده تلميذه واحد اعضاء محفله الشيخ محمد عبده ووجد في منزله كتاب الماسون بخط السيد الافغاني كما اعترف بهذا الشيخ نفسه في خطاب منه الى استاذه الافغاني (انظر الصورة رقم ١٦) .

ولم ينقطع نشاط السيد الافغاني الماسوني بعد نفيه من مصر فان التاريخ يحدثنا انه في « جمادي الأولى سنة ١٣٠٣[3] سافر السيد الى البلاد الايرانية بدعوة من الشاه ناصر الدين فنال مكانة سامية وتزاحم حوله الامراء والمجتهدون والكبراء وتمكن من نظم كثير منهم في سلك الماسونية »[4] .

وكان لهنشاط ماسوني في فرنسا ايضاً حيث قدم طلباً للعضوية في اللوج باريس وتم قبوله (انظر الصورة رقم ٤ ، ٥) .

واذا ثبت بما لا يقبل الشك انتماء السيد الافغاني للماسونية ، وثبت ان الماسونية وليدة الصهيونية العالمية وسبيل من سبلها لتحقيق اهدافها في هدم الاديان والسيطرة على العالم فان الواجب تقصّي الحقائق في سيرة الرجل الافغاني والبحث عن حقيقة اهدافه .

---

(١) خاطرات جمال الدين الافغاني : محمد المخزومي ص ٢٠ .
(٢) جمال الدين الافغاني : عبد الرحمن الرافعي ص ٤٦ . وانظر الصورة رقم /١ .
(٣) اي بعد نفيه من مصر بسبع سنوات تقريباً .
(٤) مصطفى عبد الرازق : المرجع السابق ص ٢٥ .

أما الزعم بأن الافغاني كان مخدوعاً بمبادىء الماسونية (الحرية ، المساواة ، الاخاء) ولم يعرف حقيقتها وصلتها بالصهيونية لان بروتوكولات حكماء صهيون لم تنشر الا بعد وفاته فانه زعم باطل .

ذلكم ان من الصحف من قامت بكشف حقيقة الماسونية آنذاك فقد تصدت جريدة البشير الجزويتية الصادرة في بيروت للماسونية ولم تغفل عن مهاجمتها وكشف اسرارها دواماً »[1] .

وقد تصدت لهذه الجريدة صحف مصرية ماسونية مثل « اللطائف » و « المقتطف » و « البيان » و « الفلاح » و « النصوح » و « المقطم » بردود كثيرة ودفاع عن الماسونية ومبادئها[2] مما يثبت وقوع مناقشات حادة في الصحف عن الماسونية وهذا يدعو الى التأكد من صحة أهدافها قبل الانضمام اليها من كل شخص فكيف بمن يريد الاصلاح وينتسب اليه .

فان زعموا ان السيد لم يقرأ هذه الصحف أو لم تصل اليه اعدادها سلمنا ـ جدلا ـ وقلنا صدر من الكتب سنة ١٨٩١ م أي قبل وفاة الافغاني بست سنوات كتاب الحقيقة الاسرائيلية وجاء فيه « الروح الماسونية هي نفسها الروح اليهودية لا اختلاف في معتقداتها الاساسية فآراؤهما متماثلة »[3] وقبل وفاة الافغاني باحدى وثلاثين سنة أي في سنة ١٨٦٦م صدر كتاب « السرالمكنون في شيعة الفرماسون أو ماهية الفرماسونية على ما يشهد به اهلها وتدل عليه قوانينها وتنبىء به اعمالها » صدر في بيروت وطبع كتاب مثله بالفرنسية في السنة ذاتها وهي لغة يجيدها الافغاني ، وفي سنة ١٨٨٥ م طبع كتاب « شيعة الماسونيين » بمطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين .وفي سنتي ١٨٨٤ ـ ١٨٨٥م نشر كتاب « الادلة القاطعة على شرف الرهبانية اليسوعية

---

(١) الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزي : سامي عزيز ص ٣٠٩ .
(٢) المرجع السابق ص ٣٠٨ ـ ٣١٨ .
(٣) الماسونية احمد عبد الغفور عطار ص ٦٠ .

صورة رقم (٤)

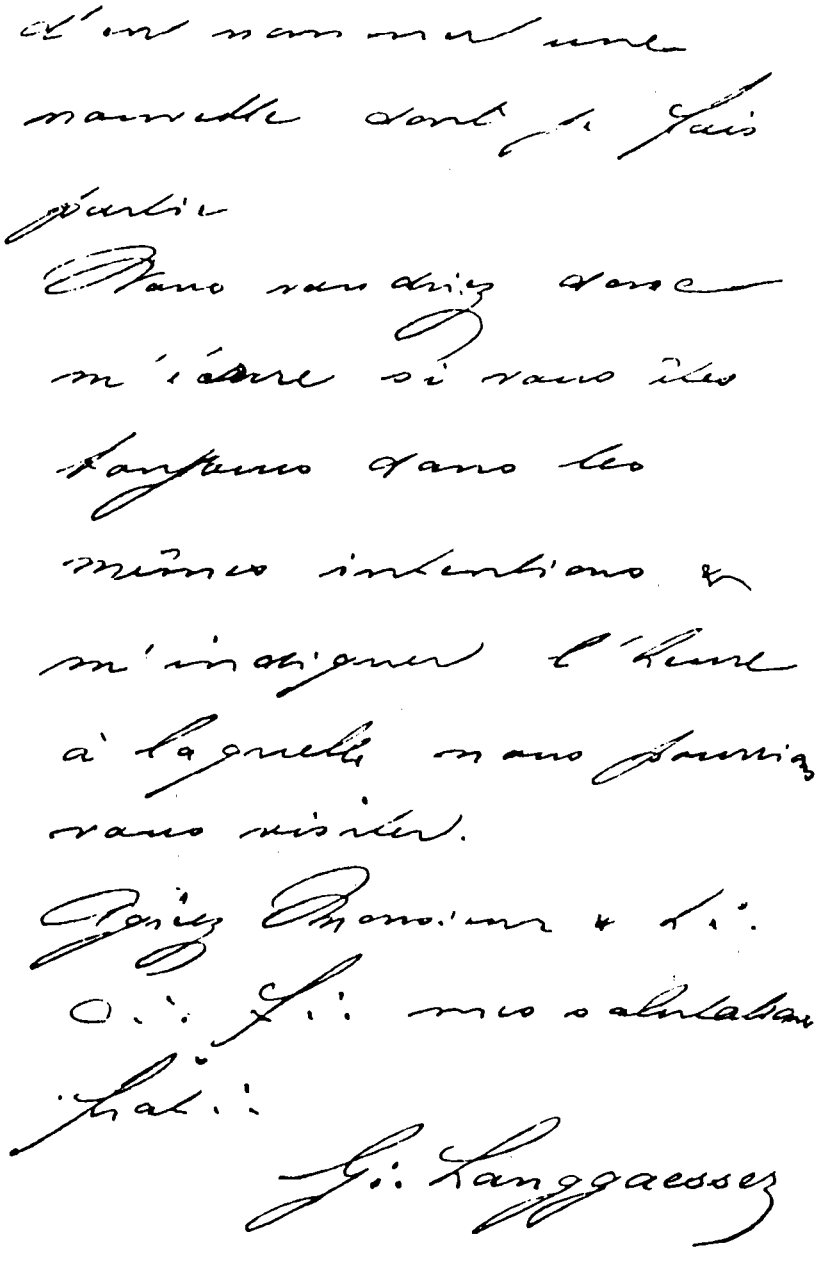

صورة رقم (٥)

وبيان كنه الشيعة الماسونية » في جزءين بمطبعة الآباء اليسوعيين[1] وفي سنة ١٨٨٥ م صدر كتاب شيعة المسونيين بلا الف بعد الميم هو مجموع المقالات التي نشرتها البشير عن الماسونية[2] .

فان زعموا انه لم يقرأ هذا ولا ذاك سلمنا ـ جدلا ـ وقلنا اليس في وجود اعضاء في الماسونية يسعون لهدم اركان الدين وتشتيت الفضيلة ما يثير شكوكه في اهداف الماسونية فيحذرها فقد اعترف احد الماسونيين وهو جورجي زيدان بوجود هؤلاء الاعضاء في المحافل الماسونية حيث يقول « فقد اتهم رجال الدين الماسونية بالكفر وانها انما تسعى لهدم اركان الدين وتشتيت الفضيلة ، أما نحن فمع اجلالنا لهذه الجمعية عن هذه التهمة ومع يقيننا انها براء منها لا يسعنا الانكار أن بين اعضائها أفرادا قليلين ربما تصح عليهم تلك التهمة »[3] .

فان زعموا ان هذا كله لا تقوم به حجة ولا يستقيم به برهان ـ سلمنا جدلا ـ وقلنا خذوا القاضية القاصمة .

أيّ شيء اراد الاستاذ محمد المخزومي تلميذ الافغاني ان يخفيه عنا حين قال« أما انخراط جمال الدين في الماسونية . . فنختصره على قدر ما تسمح به الطريقة الماسونية »[4] .

ثم ان اردتم ان نسير على منهج « من فمك ادينك » فانا فاعلون .

بعد دخول الافغاني الى المحفل الماسوني تغيّرت ثمّ لهجته في احاديثه واخذ يقرب منه العوام[5] لأي شيء يفعل هذا ؟ أتظنون أنه فعل ذلك

---

(١) انظر كتاب السر المصون في شيعة الفرماسون للاب لويس شيخو ص ٢٠٢ .

(٢) الماسونية بلا قناع : ابو صادق ص ٢٣٤

(٣) الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزي : سامي عزيز ص ٣٠٨ عن تاريخ الماسونية : جورجي زيدان ص ٢٥١ ـ ٢٥٣ .

(٤) خاطرات جمال الدين الافغاني : محمد المخزومي ص ١٧ ـ ١٨ .

(٥) تاريخ الاستاذ الامام : رشيد رضا جـ ١ ص ٤٦ .

ليوضح لهم ما يجهلونه من امور دينهم ولينزع الخرافات والمعتقدات الزائفة من اذهانهم والبدع والمنكرات من افعالهم ؟ كلا ، انه يقربهم ليقول لهم « انكم معاشر المصريين قد نشأتم في الاستعباد وربيتم بحجر الاستبداد وتوالت عليكم قرون منذ زمن الملوك والرعاة حتى اليوم وانتم تحملون عبء نير الفاتحين وتعنون[1] لوطأة الغزاة الظالمين »[2] الى ان قال « تناوبتكم ايدي الرعاة ثم اليونان والرومان والفرس ثم العرب والاكراد والمماليك ثم الفرنسيس والمماليك والعلويين وكلهم يشق جلودكم بمبضع نهمه ويهيض عظامكم بأداة عسفة ، وانتم كالصخرة الملقاة في الفلاة لا حس لكم ولا صوت »[3] .

فعّد السيد الافغاني الفتح الاسلامي لمصر دخول عرب ، وعدّ دخول العرب على حدّ تعبيره استعباداً واستبداداً وقرنه باستعباد اليونان والرومان والفرس والفرنسيس واستبدادهم ثم يسترسل في حديثه فيقول « انظروا اهرام مصر وهياكل منفيس وآثار تيبه ومشاهد سيوه وحصون دمياط شاهدة بمنعة آبائكم وعزة أجدادكم .

وتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم .. ان التشبه بالرشيد فلاح »[4]

اذن فهو لا يدعو عوام المسلمين الذين قربهم اليه بعد انضمامه الى الماسونية لا يدعوهم الى الدين الاسلامي اذ هو يشق جلودهم بمبضع نهمه ويهيض عظامهم باداة عسفه كاليونان والرومان والفرس والفرنسيس ، لا يدعوهم الى الدين الاسلامي وانما الى النظر الى اهرام مصر وهياكل

---

(١) تعنون : تخضعون .

(٢) تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ ص ٤٦ ـ ٤٧ وزعماء الاصلاح في العصر الحديث : احمد امين ص ٧٨ ـ ٧٩ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) المرجع السابق .

منفيس . . الخ وكلها آثار فرعونية شاهدة على جاهلية تعبد الاشخاص والكواكب من دون الله ، ولا شك ان دعوته الى النظر فيها دعوة الى الاقتداء بأصحابها .

وتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ٠٠ ان التشبه بالرشيد فلاح

اذن فهي دعوة الى نبذ الدين الاسلامي ـ كما افهمها ـ وهي جزء من اهداف الماسونية التي تحارب الاديان .

ثم ومما يزيد الأمر وضوحاً ان الرجل ذكر آثارا ميتة وجيفا منتنه ولم يذكر مصنع الرجال لكونه مأثرة اسلامية . اعني الجامع الازهر ما الداعي الى هذا التحامل ضد الاسلام ومآثره ؟ وهل لهذا ايضاً صلة بانتمائه الى الماسونية ؟!

وبعد . . فلعلي اطلت الحديث هنا في هذا الموضوع لأنه الميزان الدقيق الذي نزن به الرجل هنا ، ولأنه يكفي في بيان حقيقة الرجل أيّ رجل اثبات انتمائه الى الماسونية . .

فان كان فيما ذكرنا من أدلة ما يثبت انتماء الافغاني الى الماسونية وظهور أثرها في احاديثه واقواله فقد انجلت الحقيقة . . حقيقة الرجل . وان كانت لا تكفي لاثبات ذلك فانها ولا شك اصابع تشير الى الافغاني بالاتهام .

وفـــاته :

مكث جمال الدين في الآستانة زهاء اربعة اعوام حتى داهمه السرطان في فكه الاسفل وعملت له ثلاث عمليات جراحية بيد اشهر الاطباء ولم تنجح فمات في ٧ شوال ١٣١٤ هـ الموافق ٩ مارس ١٨٩٧م ودفن في نشان طاش في مقبره « شيخلر مزارلغي » اي مقبره المشائخ[1] وقال طبيبه الخاص ان شدة ولع جمال الدين بالسيجار الافرنجي وكثرة شربه للشاي وتناوله الطعام مالحا

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام : جـ ١ ص ٩٢.

كان من مسببات السرطان[1] » حتى قال بعض تلاميذه .

الملح والشاي والدخان اودت بروح شيخنا الافغاني[2]

ومن المؤسف ان يتحامل بعض المؤرخين[3] وينسب قتله الى الخليفة المسلم السلطان عبد الحميد ويصف السلطان بأنه اكبر طغاة الملوك في عهده مما لا مجال للرد عليه هنا ونكتفي بنقل كلمة لمستشرق فرنسي حيدر بامات حيث يقول « ولكن من القحمة كما يظهر ان يذهب كما صنع بعض مترجميه الى انه سمّ بأمر من السلطان فالرواية التي تعزو موته المفاجيء سنة ١٨٩٧م الى سرطان ظهر في الشفة السفلي فاستولى على جميع وجهه بالتدريج اقرب الى الحق كما يلوح وقد نقل جولد زيهر هذه الرواية فوكدها لنا الامير شكيب ارسلان الذي كان من تلاميذ جمال الدين وعاشره في السنين الاخيرة من حياته »[4]

بل ان ابن اخت جمال الدين يعترف ويقول « فلما رفضت الدولة العثمانية تسليم السيد يعني لايران لاتهامه بالاشتراك في قتل ناصر الدين شاه ـ اتفق سفير إيران ومندوبها فوق العادة الذي كان قد أوفد من ايران لهذه الغاية في سنة ١٣١٤ هـ على أن يَسِّمُوا ذلك السيد . . وقد حدث ذلك واستشهد جمال الدين »[5] .

ونزيد ـ ايضاً ـ لو كان للسلطان نية في قتله لسلمه لحكومة ايران التي اتهمته بالاشتراك في قتل ناصر الدين شاه فطلبته من تركيا مع اثنين من شركائه

---

(١) خاطرات جمال الدين الافغاني ص ٣٩ ، ٤١ .

(٢) جمال الدين الافغاني عبد القادر المغربي ص ١٢١ .

(٣) منهم محمود ابو رية كتب فصلا كاملا في « المؤامرة الكبرى بالسيد جمال الدين ليصرعوه بالآستانة » .

(٤) مجالي الاسلام تأليف حيدر بامات ترجمة عادل زعيتر دار احياء الكتب العربية بالقاهرة ١٩٥٦م ص ٤٩٩ .

(٥) جمال الدين الاسد آبادي : ميرزا لطف الله خان ص ١١٨ .

سلمتهما تركيا فأعدما ورفضت تسليم الافغاني.

حقيقته والمآخذ عليه

مما لا شك فيه ان حياة هذا الرجل مليئة بالاسرار ويحيطها الغموض[1] وتلتبس فيها الحقائق بالاكاذيب ومما يزيد الأمر سوءاً انه لم يؤرخ للرجل مؤرخ معتدل فاغلب من أرّخ له اما معجب به بالغ الاعجاب مبالغاً في الثناء عليه متجاوزاً عن كثير من اخطائه تكلّ عينه عن كل عيب فيه اعمته عين الرضا عن الحقيقة واما رجل حاقد كاره بالغ في قدحه وذمه يحمل منه كل شاردة وارده ما لا تحتمله اعمته عين السخط عن الحقيقة .

وزاد بعض تلاميذه الامر سوءاً فأخفى بعض اعماله زاعماً ان الطريقة الماسونية لا تسمح بذكره[2] .

ويزيد الأمر حينما نعلم ان اكثر نشاطه كان سرياً[3] . ولكن مع هذا الغموض فإنا نجد في بعض افعاله واقواله مآخذ لا نراها الا خطيرة توجب اعادة النظر في تقويم بعض الرجال كما قال الدكتور محمد محمد حسين ونحن حين ندعو الى ذلك لا نريد ان ننقص من قدر احد ولكننا لا نريد ان تقوم في مجتمعنا اصنام جديدة معبودة لا ناس يزعمون انهم معصومون من كل خطأ »[4] .

وقد سبق لنا ان ذكرنا بعض هذه المآخذ في نشاطه الماسوني وفي تفسيره وفي الجامعة التي يدعو اليها وغير ذلك مما لا داعي لاعادته هنا .

وأول ما يصادفنا في حياته من غموض الاختلاف في أصله أهو ايراني أم افغاني وهو يذكر أنه أفغاني في كثير من أقواله ورسائله وأحياناً يسمى نفسه « الكابلي » أو « الحسيني » وكلها القاب يعرف بها الرجل ويشك في صحة

---

(١) العروة الوثقى ص ١٨ .
(٢) خاطرات جمال الدين الافغاني ص ١٨ .
(٣) الاسلام والحضارة الغربية محمد محمد حسين ص ٦٥ .
(٤) المرجع السابق ص ٤٩ .

هذا كثير من المؤرخين ويزيد الأمر شكا ان التاريخ لا يحدثنا عن عودته او محاولته الاتصال بأهله وعشيرته في افغانستان بعد خروجه منها بينما يذكر عودته المتكررة الى ايران ويذكر ان معظم من يتصل به في تركيا ايرانيون وقنصل ايران قدم له العون عند نفيه من مصر والذي يقوم بدور الترجمة له في العروة الوثقى ايراني . ونحن لا يهمنا معرفة اصله أأيراني هو أم فغاني بقدر ما يهمنا معرفة الدافع له الى التنكر ولا يقنعنا وحدة القول بأنه انما تنكر حتى يستطيع الخلاص من رقابة الحكومة الايرانية لرعاياها في الخارج .

ومع انه كان يدعو الى تنقية الدين الاسلامي مما علق به من الخرافات كتقديس الاموات والتبرك بهم ونحو ذلك الا انا نراه يستغل هذه النقطة ابشع استغلال فيلجأ الى مقام عبد العظيم خوفاً من ناصر الدين شاه ويثير فيهم الحمية لهذا المعتقد الباطل بالانتقام من ناصر الدين شاه فيقول « وأما قصتي وما فعله هذا الكنود الظلوم معي فمما يفتت اكباد اهل الايمان ويقطع قلوب ذوي الايقان ويقضي بالدهشة على اهل الكفر وعباد الاوثان ان ذلك اللئيم امر بسجني وانا متحصن بحضرة عبد العظيم عليه السلام »[1] ويصف هذا المقام بأنه « حرم من دخله كان آمنا »[2] .

بل ويحاول ان يظهر بالقداسة امام العوام ولو كان بالكذب والخداع حكى عنه سعد زغلول انه ذكر لهم انه كان في سفينة خيف عليها الغرق فرأى في الركاب خوفاً فأكد لهم ان السفينة لن تغرق ثم قال « لو غرقت السفينة لم اجد منهم احد ا يكذبني وان سلمت ظهرت بالقداسة من اقرب سبيل »[3] .

ومن المآخذ عليه اتخاذه الاغتيال سبيلاً لتحقيق مآربه فقد قال مره في حديث له مع الاستاذ براون لا امل في الاصلاح قبل قطع ستة أو سبعة رؤ وس

---

(١) نابغة الشرق السيد جمال الدين الافغاني سعيد الافغاني ص ٧٧ .

(٢) تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ ص ٥٥ .

(٣) نابغة الشرق جمال الدين الافغاني ص ٩١ ـ ٩٢ وجمال الدين الافغاني عبد القادر المغربي ص ٥٠ ـ ٥١ .

وسمى بالاسم شاه العجم وكبير وزرائه وكلاهما قتل بعد ذلك[1] وحينما طلب من السيد ان يكف عن مقاومة الشاه مقابل ما يشاء ويتمنى اجاب « لا اتمنى الا ان تزهق روح الشاه ويشق بطنه ويوضع في القبور » قال عبد القادر المغربي كل هذا سمعته من فم شيخنا الافغاني الذي كان يرويه بطلاقة لسان وتوقد جنان »[2] وقد أمر فعلا بالقتل حينما قال رضا آقاخان يوما انه حاضران يفدي نفسه لتخليص امته فقال له جمال الدين (ان كان كذلك فاذهب وافعل)[3] وأمر السيد رجاله الافغانيين أنهم إذا رأوا ميرزا في حيِّهم يقتلونه[4] ، وهذا ميرزا حسين خان دانش يصف زيارته لجمال الدين فيقول « وما ان قربت منه حتى وجدته محدقاً بنظره الى الارض يزرع البهو من أقصاه الى اقصاه يروح ويغدو غاضباً رافعاً صوته كالمجانين وهو يقول « لا نجاة إلا في القتل لا خلاص إلا في القتل لاسلامة الا في القتل » . . فاشتد عجبي لهذه الحالة الجنونية التي وجدته عليها . . . وعدت من حيث اتيت وتركته وشأنه وبعد إنقضاء ٢٥ يوماً أو شهر على ذلك وردت الاخبار من طهران باغتيال « ناصر الدين شاه » بمسدس « ميرزا رضا الكرماني »[5] بل ان قاتل ناصر الدين شاه قال عندما انفذ فيه خنجره : ـ خذها من يد جمال الدين[6] ولما بلغ الافغاني ذلك قال كلمات تدل على الاعجاب بالقاتل[7] وذكر محمد عبده ان الافغاني أمره بقتل الخديو اسماعيل[8] .

---

(١) الاسلام والتجديد في مصر تشارلز آدمز ترجمة عباس محمود لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية ص ١٥ .

(٢) جمال الدين الافغاني : عبد القادر المغربي ص ٤٩ .

(٣) من بحث للامير شكيب ارسلان في حاضر العالم الاسلامي لوثروب ستودارد جـ ٢ ص ٢٩٥ .

(٤) جمال الدين الافغاني : عبد القادر المغربي ص ٥٧ .

(٥) جمال الدين الاسد آبادي : ميرزا لطف الله خان ص ١٣٤ .

(٦) جمال الدين الافغاني : محمود ابو ريه ص ٣١ .

(٧) زعماء الاصلاح في العصر الحديث احمد امين ص ١١٢ .

(٨) التاريخ السري لاحتلال انجلترا مصر ص ٣٥٤ .

وعاب احمد امين على الافغاني هجاءه لناصر الدين شاه فقال « هذه زلة كبيرة من السيد دعاه اليها حدته وحبه للانتقام اذ كيف اجاز لنفسه التشهير بحكومة شرقية اسلامية في بلاد اجنبية تتخذ من اقواله حجة للتدخل الذي طالما حاربه في العروة الوثقى وكيف استباح ان يفضح هذه العيوب ثم قارن بينه وبين مدحت باشا الذي نفاه عبد الحميد بلا مال ولا ثياب ولا اهل فلم ينطق بكلمة في ذم عبد الحميد بل تكلم الكلام الكثير في فضل الاتراك على اوروبة ثم قال الحق انها غلطة من غلطات السيد دعا اليها حدة مزاجه[1] .

وقد نسب اليه بعضهم القول بنظرية داروين والحق انه لم يقل بذلك بل رد عليها بما يبطلها[2] مع تعاطفه على من ايدها وحمده لهم الجهر بمعتقدهم ولو خالف الجمهور[3] .

ومما يؤخذ عليه كثرة لحنه ، ولا نعيب عليه اللحن بقدر ما نعيب عليه اباحته ذلك فقد قال في هجاء رجل « هذا رجل من نسل البقروت » فعابوا عليه استعمال بقروت فأجابهم ألا تقولون جبروت وملكوت ورهبوت فلماذا تمنعون عني قول بقروت فقالوا : ان بقروت لم ترد في كلام العرب فقال وهل تريدون مني ان انكر نفسي[4] .

ومن احسن الردود على هذا قول الاب انستاس الكرملي « اجل اننا لا نريد ان نسير برأي اهل البادية في لغتنا لكننا نريد ان نسير على المناحي والمنازع التي تلقيناها من السلف جيلا بعد جيل واصلهم من البادية ولا نقبل ان ندخل في لغتنا مثل البقروت بحجة ان جمال الدين نطق بها »[5] وقد عرف

---

(١) زعماء الاصلاح في العصر الحديث احمد امين ص ١٠٤ ـ ١٠٥ .
(٢) انظر خاطرات جمال الدين الافغاني ص ١١٤ ـ ١١٨ .
(٣) خاطرات جمال الدين الافغاني ص ١١٦ .
(٤) جمال الدين الافغاني : لعبد القادر المغربي ص ١١٠ .
(٥) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد الثامن الجزء العاشر ص ٦٢٦ .

من رأي السيد انه يجّوز استعمال الدخيل واللفظ الاعجمي ويقول اذا اردتم استعمال كلمة غير عربية فما عليكم الا ان تلبسوها كوفية وعقالا فتصبح عربية وقد كنّى بالكوفية والعقال عن التعريب »[1] وكان يقول « كان المقصود في النحو ان يكون آلة فصيره جمود النحاة غاية »[2] .

ومما يثير الريبة والشكوك في الافغاني هذا الخليط من اليهود والنصارى الذي يحيط به ، سليم نقاش من نصارى الشام وهو ماسوني ووضع كتابا تبدو فيه اهداف الماسونية بارزة في عنوانه « مصر للمصريين » وهو يذكرنا بدعوة الافغاني للمصريين بالنظر ليس الى الآثار الاسلامية بل الى الآثار الفرعونية المصرية ، وفي هذا فصل لمصر عن المسلمين والاسلام .

واديب اسحاق من اكثر الدعاة الى الماسونية حماسا وقف نشاطه الصحفي على هذا وهو ايضاً من نصارى الشام انتظم في سلك الماسونية سنة ١٨٧٣م في محفل انشأه الماسون في بيروت ذلك العام ثم وقف نشاطه على الدعوة الى الماسونية في بعض الصحف ولم يكتف بهذا بل قام بطبع مقالاته تلك في كتاب ضخم[3] ومع هذا فقد كان الافغاني لآخر نسمة من حياته ـ كما يقول تلميذه المخزومي ـ عند ذكر اديب بك اسحاق يسترجع ويقول : كان طراز العرب وزهرة الادب ، قضى نحبه في شرخ الشبوبة وعنفوان الفتوة وترك لنا قلوباً آسفة وشجوناً فائضة انا لله وانا اليه راجعون »[4] .

ومع هذا ايضاً فقد اسند الأفغاني ادارة أول صحيفة أنشأها (مصـــر) الاسبوعية سنة ١٨٧٧م الى اديب اسحاق هذا ؟! ثم ساهم في انشاء جريدة (التجارة) وتولى رئاستها اديب اسحاق وسليم نقاش وكان الافغاني يساهم

---

(١) جمال الدين الافغاني : عبد القادر المغربي ص ١٠٩ .
(٢) خاطرات جمال الدين الافغاني : محمد المخزومي ص ٢٧٨ .
(٣) الماسونية بلا قناع : ابو صادق ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤ .
(٤) خاطرات جمال الدين الافغاني : محمد المخزومي ص ٢٢ الهامش .

بالكتابة فيها ويوصي تلاميذه بخدمة هاتين الصحيفتين قلماً وسعياً[1] .

وهكذا نرى الافغاني يمكن النصارى من اجهزة الاعلام ويصرف النقود ويفتح المطابع ويحصل على الامتيازات ليسلمها لهم .

وكان من المحيطين به من النصارى جورج كوتجي وطبيبه الخاص هارون يهودي[2] . ولم يحضر وفاته الا كوتجي النصراني وهارون اليهودي وعند قدومه الى مصر يسكن في حارة اليهود[3] .

ومن المآخذ عليه صلته بالانجليز المريبة ورجال الانجليز ، وفي الحقيقة انه لم تتضح لي حقيقة علاقة الرجل بالإنجليز فهو معهم أحد رجلين لا محالة : اما عدو ساذج مغفل اتخذوه مطية لهم لتحقيق مآربهم ، واما صديق مخلص ذو مكر ودهاء .

وحسب ما نعرف من تاريخ الرجل فان أول صلة بينه وبين الانجليز حينما انضم الى محمد اعظم في افغانستان ضد شير علي وانتصر الثاني لتأييد الانجليز له ولم يجد الافغاني بدا من الهرب .

وفي مصر كان يؤلب عليهم الناس حتى يقوموا بالثورة العرابية ، وفي ايران يحرض مفتي ايران على تحريم الدخان لابطال احتكار الانجليز له في ايران تمهيداً لاحتلالها وفي باريس ينشيء مجلة العروة الوثقى التي تحارب الانجليز اينما حلوا وتشنع عليهم وهو مع هذا يسرح في بلادهم ويمرح ويتردد بين لندره وباريز ولا يلقى سوى الترحيب .

صحيح انهم أدّوا الى تعطيل العروة الوثقى لكن صاحبها لا يجد مانعا من اللجوء الى سفير بريطانيا في الآستانة ليساعده على الخروج منها[4] ولا

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام : للسيد محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٤٥ .

(٢): الاسلام والحضارة الغربية : محمد محمد حسين ص ٦٩ .

(٣) تاريخ الاستاذ الامام : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٤٤ .

(٤) تاريخ الاستاذ الامام : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٧٢ وحاضر العالم الاسلامي شكيب ارسلان جـ ٢ ص ٢٩٦ .

تجد انجلترا مانعاً قبل ذلك من عرضها له توليه السلطة في السودان[1] وقبل هذا وذاك لا يجد السيد الافغاني مانعاً من دخول المحفل الماسوني والاسكتلندي ولا يجدون هم انفسهم مانعاً من تعيينه رئيساً للمحفل .

ولا يجد مانعا من التعاون مع الانجليز ! ضدّ من ؟ ضدّ الخلافة الاسلامية ؟!! قال السلطان المهضوم عبد الحميد في مذكراته التي نشرت مؤخراً « وقعت في يدي خطة أعدّها في وزارة الخارجية الانجليزية كل من مهرج اسمه جمال الدين الأفغاني وانجليزي يدعى بلند ، قالا فيها باقصاء الخلافة عن الأتراك واقترحا على الانجليز اعلان الشريف حسين أمير مكة خليفة على المسلمين »[2] .

لهذا فلا عجب ان يصفه السلطان عبد الحميد بقوله « كان رجل الانجليز ومن المحتمل جدا ان يكون الانجليز قد أعدّوا هذا الرجل لاختباري »[3] .

أما بلنت هذا الذي اشار اليه السلطان عبد الحميد فهو وزوجته من اصدقاء الافغاني الانجليز وهو وزوجته ذوي نشاط مريب في بلاد العرب ويكفي نشاطهما ريبة دعوتهما الى انشاء دولة عربية حليفة لانجلترا تصبح مقراً للخلافة الاسلامية ويكتب بلنت في ذلك كتابه المشهور المسمى « مستقبل الاسلام »[4] .

وصلة الافغاني ببلنت هذا وزوجته ايضاً صلة مريبة فهي التي تفاوض باسمه الحكومة البريطانية وتبدي رأيها له في بعض المسائل وتطلب منه توجيهاته بعد هذا (انظر الصورة رقم ٦) وتسعى لعقد الاجتماعات بينه وبين كبار الشخصيات حتى الايرانية منها فتنظم له لقاء مع مالكوم خان (انظر

---

(١) جمال الدين الافغاني : محمود ابو ريه ص ٥٣ .
(٢) مذكرات السلطان عبد الحميد ترجمة محمد حرب عبد الحميد ص ٦٧ .
(٣) المرجع السابق ص ٦٨ .
(٤) الاسلام والحضارة الغربية : محمد محمد حسين ص ٦٨ .

الى صديقنا العزيز حضرة السيد جمال الدين الحسيني حفظه الله

بعد السلام ان اخبركم من طرف قريبي ان حصل مفاوضة في معنى ما تكلمنا عنه ومعنى تحريرات والحكومة لا قبلت الاغراض تقدم لها ولا إمتنعت قطعًا اما في المكاتبة الاخيرة التي وردت الينا من طرف مستر غلادستون قيل هكذا — انه من الممكن حصول إتفاق على إرسال مرسل الذي يعطى له برقة أمان حتى يذهب الى الخرطوم ويخبر المهدي بالتعليمات أمر بها اللورد ولسلي وانها كما يأتي "يجب عليه (اللورد ولسلي) يبعث الى الحكومة في الحال ايًا كان بلغه من المقترحات من طرف المهدي" — وانا على هذا رديت جوابًا — إنني سأخبر حضرتكم بقولهم وانما حسب رأيي لا بد ان يظهر لكم غير كافيًا لأني أظن ان الحكومة تريد مفاوضات في الصلح وأنها تريد ايضًا ان لا تكشف مرادها للناس — ولم حصل إتفاق على ارسال مرسل بدون المرسل من التعيين واردت أسأل افكاركم على من احسن هل ابراهيم او عبده او غيرهم ودمتم في حفظه تعالى

والسلام ختام

المخلصة
علما بلونيت

صوره رقم (٦)

Crabbet Park,
Threebridges,
Sussex.

الى صديقنا العزيز السيّد جمال الدين
الحسيني حفظه الله

بعد السلام وصل جواب من صديقكم
ملكوم خان ويقول فيه انه جدًا فرحان
على ملاقاتكم وان تفضلوا وتوجهوا
الى بيته غدًا يوم السبت ساعة ١١
وبيته 80 Holland Park
ونحن نسافر من هنا مع القطر في
الساعة ٨ غدًا ووصولنا في 15 James St.
في الساعة (نحو) ١٠ والسلام

المحبة المخلصة
عانا بلونت

١٥ اوغوست ١٨٨٥

صورة رقم (٧)

الصورة رقم ٧) سفير ايران لدى جمع الدول الاوروبية وهو نصراني ذو ميول أوربية[1] ونفاوض باسمه بريطانيا في مسألة مصر ومسألة السودان وتكتب إليه بجواب الوزراء الانجليز (أنظر الصورة رقم ٨) .

ومن يقرأ بتمعن تأريخ بلنت وزوجته يدرك انهما يحاولان الظهور بمظهر التعاطف مع قضايا (العرب) حتى ضد الانجليز ولكن حقيقتهما انهما من رجال الانكليز واكبر هذا دعوتهما لفصل العرب عن الخلافة الاسلامية وانشاء دولة عربية حليفة لانجلترا تصبح مقراً للخلافة الاسلامية وفي هذا وحده ما يكشف حقيقتهما

فما علاقة الافغاني بهما وكيف يسمح لنفسه ان يتعاون مع الانجليز لهدم الاسلام والخلافة الاسلامية وهو يسعى بزعمه وزعم المخدوعين به الى الوحدة الاسلامية ؟!

ومن المآخذ على الافغاني تلك العبارات الخطيرة والألفاظ المنحرفة وهي وان كانت غير صادرة منه ولكنها من تلاميذه وموجهة اليه ولو لم يكن بها راضياً لردع تلاميذه عنها ولعرفوا كراهيته لذلك فارتدعوا ولكنه لم يفعل فلم يفعلوا .

فمن ذلك ما كتبه اليه تلميذه ابراهيم اللقاني :-

« لو أذن لي سيدي واستاذي وربّ روحي ومعدّل مزاجي ومقوم خلائقي ومحور خلقي ومحرر فطرتي » (انظر الصورة رقم ٩) .

ويكتب اليه السيد رشيد رضا مصلياً ومسلماً عليه بعد رسول الله وآله فيقول : - « الحمد لله على افضاله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله

---

(١) يروى عنه مستر بلنت في تاريخه السري لاحتلال انجلترا مصر ص ٦٤ - ٦٥ قوله « ربما كان يهمكم ان تسمعوا حكاية دين اسس في فارس قبل مضي عدة سنين وقد كنت زعيمه في يوم من الأيام ويقول « وقد ادركت عبث الاجتهاد في تنظيم فارس على مثال اوربا فصممت على الباس مشروعي اللباس الذي يفهمه الناس هناك . لباس الدين » !!

الى حضرة صديقنا العزيز المحترم الفاضل
الامير جمال الدين الحسيني حفظه الله

بعد السلام هذه ترجمة جواب الوزراء
(مضمونه) انهم لا يقبلون امتيازين
مسألة مصر ومسألة السودان فان
حسب ظنهم تدل وحدة المسألة على ان
يتعاسر عليهم المكاتبة مع مستر باونت -
ومع ذلك اشاروا على علام ورود
التماس اليهم او طلبة ورقة امان
من طرف احد من وكلاء المهدى للمرور
اليه بين عساكر الانكليز بقصد تسليم
اليه رسالة - هذا وقيل ايضا انهم
(الوزراء) لا يقولون وعسى انهم
لا يعرفون اى جواب يردون لو بلغهم
الطلبة المذكورة آنفا ويا صديقنا العزيز
ماذا ينبغى ان يفعل فى الامر ومنى
ومن قريتى الف الف سلام

المحبة
المخلصة
عانا باونت

٢٢ ابريل
[١٨٨٥]

صورة رقم (٨)

من بيروت في ٤ اذار سنة ١٨٨٣

لو اذن لي سيدي واستاذي وبث روحي وعدل مزاجي ومقوم خلوقي وكور خلقي ومحرر
فوادي أن ابث اليه شكايتي منه أو لو سمح لي الادب وكان مكاني في مجلس مولاي رضيا فاشفي
بعتبه ما ضاق به صدري ومن لي لو اذن لهيبة اولو سمح الود بسان لا يتلعثم وذهن لا يتزعزع
وانابة لهول المشتكى منه وجرت المشتكى اليه وشدة باعث العتاب وجلال المعاتب عليه
اما والله لقد كان لصباح سيدنا في كنا به الاخير لا بالتراب من التأثير ما كاد يخسف بي الارض ويدكدك
علي السماء لهولها واضطرابا ما كادت تسيل بنفسي ويجمد دمي فرقا وارتجاجا ما اوشك ان
يطير بشاعري حيره وادهاشا كان لشكته في وفائنا وخبرته في فوادنا لو علم شرة وقعه لرحمنا
من ان يجرنا به وخز وددت لو انه أسال ما اسال من دمي على قدمي سيدي ليظر ما ذا يكتب في
ارقه من دلائل الوفاء وبراهين الولاء وخز لو أسأل السيد بريئة عليه فوق ان يأمرا بتراب
فمه الطهور يشرع فاسحة الفؤاد عند ما يجهز الوخز عليه ليطلع على ما طوته من الولع والشغف بجنبة
مربيه حفظه الله فيعلم وهو العليم الحكيم اني ما كتبت ولو اكتب الا جنابة الوخز على اعلاه وفواد
هذه صفته وذكر شانه ولا يأسف على ما عانا في تربيتنا وعلاج نفوسنا من المتاعب والاوصاب
اوليس الذي اصابني من شكته في وفائي الا كالذي اصابني عما احسست بانه قد تزلزل به من
الأسف عند عروض هذا الشك له رغبتي لديه ان اذهب قبل هذا الشك. دونه ان يورث
مولاي ادنى أسف او كدر . وليت شعري علام هذا كله وقد قلبت ظاهري وباطني وخبرت
سري وعلانيتي وفتشت جسمي وروحي وبحثت في غرائزي وملكاتي وجربت غيبتي وشهودي
فلم اجد الا ولاءً ووفاءً وشغفاً ووجداً وطاعة وامتثالا واتباعا وانقيادا وميلا
وانجذابا وخضوعا وخشوعا وسجودا وركوعا كل ذلك للسيد وفي السيد وبالسيد والسيد
ومن السيد وعلى السيد فلم وبالذا هذا الريب بنا وعدم الثقة في شكه فينا أعلى انا مصريون
(وان استشاط على المصريين ما بيده الامم) نعم نحن مصريون (وان يكن الود ان بيننا ظنا) ولكن الم
نصاحب سيدنا الم يرتبنا وانا الم يتعهدنا خلقا جديدا بكى والله لقد تشف عن بصائرنا

صورة رقم (٩)

وجلاء صدأ نفوسنا وغسل درن دارواحنا وتطهير دنس طبائعنا وازالة حبس اخلاقنا
وتهذيب شمائل الفضائل وستر دوننا ابواب الرذائل وادخار وحاملي بضعة من شعة نور
ولا امكاك للشعاع عن مصدع شرق اوغرب . فاي طبع للحضريه او للعقاربيه او للحمرة
او للشياطيه لا يتحول تلك التربة ام اي جبلة لها ثم او للدنام او للوحوش لا تتغير
بتلك العلوم ام اي نفس بشرية او كلبية او خنزيرية او قردية تعاود مرارة لحنا بعداة
ذاقت حلاوة التهذيب ولا اري لهيد تشدد سرد يمثل هنا احتجاجا علينا بقول القائل

اذا كان الطباع طباع سوء فلا ادب ينفع ولا ادب

فوالله لئن بلغت منا الحسنة والدنانير والجنيات سلبغا لا يهتدي معه الى جادة لما ضللنا سبيل الله
جميعا ولا تخذنا ولينا فليتق الله فينا ويرحم نفوسنا اما يقتلها صبرا بشكله في وفائها ولا
يحوجها الى تطالبه بظلامتها فيما تشتهيه

تشكو الى الحب ما جادت وما فعلت جاي ذنب وقاك الله قد قتلت

فنحن جاليون في اي زمان واي مكان وعلى اي حال واي شكل واي وضع واي هيئة
وباي اعتبار واي حسبان واي نظر وبالجملة فنحن نحن ولهذا
هذا محصول ما كنت اريد ان اجعله موضوع كتابي وهو باعث عتابي ولم اشكك ولم اعاتب رغبة
وتأدبا وحسبي بعد ان اليه منتصفا بي صنيعي . استغفر الله بل لا اسأله فوق ان يكشف لي عن وجه
الشك لاتوجه حيا بمنه وها هو فيما اظن الا ماوقع لي مع هذه الشريفة عن الشيخ محمد عبده فاعتقده
صدقا ثم جعل سائر الحضريه في ذلك حكما واحدا (وسرعان ما يصدقنا وسرعان ما يكذبنا) قال
صدق ظني فيها اما عن اذن الهيد الكشف عن تلك الحماية كما وعدت في الحاشية التي وضعتها على
رسالة الوبي تراب حملها البريد الى الهيد منذ خمسة ايام

واذكر ان الدهر ما تنقل بنا الى الرفعة والشأن على ما بسطته لولاي فيولهذا كان الشيخ محمد عبده قد
صادف لدى رياض باشا قبولا واعتزازا خصوصا بعد ان علم انه ثمرة من ثمار غرس سيدنا ومربينا
فصار له ويثق به واختاره عليه بل جعله له حفاظا على امره ونهيه وحله وعقده فجد في القيام
بهذا الشأن هذه المرتبة جدا اشغله عن الناس واضطره الى الاقلال من زيارتهم فان اوقات فراغه
كان يستفيدها مع البشاشة وطلاقة ومنفعة فرمى له بالكبد والجنب ثم ان صدقة في خدمته جعله

صورة رقم (١٠)

صوره رقم (١١)

عليه السلام وما بلغوه من ان تأخذه الرأفة والرحمة عليه مما يفعل الاعداء تركوا الشفقة من
الاحباب فانه أبان من القسوة والوحشية والردائة ما لا مزيد عليه اذ قد سمع الحبيب الخبيث
نقاريره الخ حتى الشيخ محمد اشترك عليه في جملة امور منها انه كان يقرئ الجنه بمنزل المدير فاشترط عليه
وتعجب وما يرينا لو انه اديبا وعليما كما يوصف بعضهم ما زاد يكون صنوها ايضا
ومن سوء الحظ ان ابا تراب عند ما نزل بمصر فانه لم تزل مسجونين وهم يجتمع الرسيد واضرابه فحلوا
قلبه نفرة وحشة من الشيخ محمد عندما فهم بانه يتقرب اليه فيخرف خاطره عن تلميذه
وقد كان غاية في اذائه ومن فاتهم ان الكبر لا يجتمع ابدا بالعلم وان الحق مهما استتر لابد ان يشرق
نوره يوما ما عجب لشقاء ينجلي ويتبين فتبيض وجوه وتسود وجوه
هكذا قد بسطت مولدي حقيقة الواقع تخلصا من اثم الانكار عليه ووفاء بحقوق الاخوة التي بيني
وبينه الشيخ محمد والله والله لم يصل الي الآن من جميع ذلك شيء الا ما وقفت عليه في حياة الشيخ محمد
الشهير في وفاء المصريين ولو شئت ان شاء الله ان ابا تيناس قبل سيدنا ما يبشرنا ايضا خاطره
ويطيب خاطرنا جاريا به على غيرنا وكنى اولى بموسى منهم بل انا الواثق من سيدي عبد الباقي
بيستحيي ويصالحني ويسترضيني ويستطعمني والوقت امامنا فطوبى لمن يعلون شفا
فانه يقول لهيد وصل الحرف فاعل ذلك او لا
طول الحديث في هذا المقام لم يرع في مكانا بيته فيه لوشاذنا حال بيروت واخلاق اهلها وما
لو قيضناه من اكرام المسلمين فلو وجدته لا وقت آخر خاتما حديثي عن لهيد بشر راحتيه وقدميه

عزيز فضلكم
مرحبا

وانا بهما على ذلك
لو تراب طارق
حلمي مرعي

وعلى سيدي بل السيد المطلق ، ذي القدح المعلى والجواد المصلى الاسبق ، سدرة منتهى العرفان ، وجنة مأوى المحاسن والاحسان الذي له في كل جوّ متنفس ، ومن كل نار مقتبس ، الامام المفرد والعقل المجرد « الى ان قال » مهبط الفيض مصعد الكلم الطيب مجلى سر الجمال الاكمل »[1] .

ويكتب اليه الاستاذ الامام محمد عبده ما هو أشدّ وافظع واخطر على عقيدة المسلم (انظر الصور رقم ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ وسنذكره عند الحديث عن محمد عبده ـ ان شاء الله .

ومن المآخذ على الافغاني ان السلطان عبد الحميد استشاره في ارسال بعثة من العلماء لنشر الاسلام في اليابان حسب طلب امبراطور اليابان فأرجعه عن عزمه وقال له « ان العلماء نفروا المسلمين من الاسلام فأجدر ان ينفروا الكافرين »[2] .

ومنها تعليله عدم زواجه بخشيته عدم العدل ، ومنها قسمه الذي يقسم به وعز الحقّ وسرّ العدل ، ومنها انه يشرب « قليلاً من الكونياك »[3] .

ويطول بنا الحديث لو اردنا استقصاء ذلك ، ولعل فيما ذكرنا اشارة لمؤسس هذه المدرسة العقلية الحديثة والباعث لها وهو وان كان الغالب على نشاطه السياسة لا الدروس العلمية التي هي مرادنا لكنه هو الذي وجه الامام محمد عبده وتلاميذه الى هذه الطريقة واخذ بيدها اليه حتى سلكته وحمدت له ذلك واعترفت له .

أما امام هذه المدرسة واستاذها فهو الشيخ محمد عبده وهذه ترجمته .

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام : للسّيد محمد رشيد رضا جـ ص ٨٥ .

(٢) نابغة الشرق جمال الدين الافغاني : سعيد الافغاني ص ١١٦ وجمال الدين الافغاني : عبد القادر المغربي ص ٣٢ .

(٣) تاريخ الاستاذ الامام : السيد محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٤٩ .

ثانياً: محمد عبده

لئن كان السيد جمال الدين الافغاني هو المؤسس لهذه المدرسة فان محمد عبده هو الذي اقام صروحها ودعا اليها ونشرها بين الناس فكان بحق هو صاحبها وهو استاذها وامامها الأول فكان له من الأثر فيها ما لم يكن لاستاذه السيد جمال الدين ولعل شهرة محمد عبده توجب علينا الاقتصار في ترجمته على بعض معالم حياته التي نستشف من ورائها اتجاهه الفكري ليس الا .

اسمه ونسبه :

هو محمد بن عبده بن حسن بن خير الله .

حدث عن نفسه فقال « كنت اسمع المزاحين من اهل بلدتنا يلقبون بيتنا ببيت التركمان فسألت والدي عن ذلك فأخبرني ان نسبنا ينتهى الى جدّ تركماني جاء من بلاد التركمان »[1] وقال « أما بيت والدتي فيقال انه عربي قرشي وانه يتصل في النسب بعمر بن الخطاب رضي الله عنه ولكن ذلك كله روايات متوارثة لا يمكن اقامة الدليل عليها »[1] .

مولده ونشأته :

ولد في حصة شبشير من قرى اقليم الغربية ونشأ في قرية « محلة نصر » تبعد عن دمنهور نحو خمسة عشر كيلومتراً .

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام : للسيد محمد رشيد رضا جـ ١ ص ١٦ ,

ولد في أواخر سنة ١٢٦٥ هـ وتعلم القراءة في منزل والده بعد ان جاوز العاشرة ثم حفظ القرآن في سنتين انتقل بعدها الى المسجد الأحمدي بطنطا ليتعلم التجويد ومكث سنة ونصفاً ولم يفهم فيها شيئاً لرداءة طريقة التعليم فيها حسب قوله[١] عاد بعدها الى محلة نصر وتزوج سنة ١٢٨٢ هـ ثم الزمه والده الذهاب الى طنطا للتعلم فاستطاع الهرب في الطريق الى بلدة « كنيسة اورين » ولجأ الى أحد اخوال ابيه واسمه الشيخ درويش الذي حبب اليه العلم وطلبه بسبب طريقته في التدريس حتى صار طلب العلم وتحصيله أحبّ شيء الى نفسه . أقام عند الشيخ درويش ١٥ يوما انتقل بعدها الى طنطا خوفاً من والده الذي وجهه اليها للدراسة ثم انتقل الى الازهر في منتصف شوال ١٢٨٢ هـ فداوم على طلب العلم على شيوخه ويعود الى محلة نصر في آخر كل سنة ليتلقى الدروس من الشيخ درويش الذي يسأله ما درست المنطق ؟ ما درست الحساب ؟ ما درست شيئاً من مبادىء الهندسة ؟ وكان الاستاذ الامام يلتمس عند عودته الى القاهرة هذه العلوم عند من يعرفها الى ان جاء السيد جمال الدين الافغاني في شهر المحرم ١٢٨٧ فتلقى عنه بعض العلوم الرياضية والفلسفية والكلامية ويدعو الناس الى التلقي عنه فقرأ على السيد الزوراء للدواني في التصوف وشرح القطب على الشمسية والمطالع وسلم العلوم في المنطق والهداية والاشارات وحكمة العين وحكمة الاشراق في الفلسفة وعقائد الجلال الدواني في التوحيد والتوضيح مع التلويح في الاصول والجغميني وتذكرة الطوسي في الهيئة القديمة وكتاباً آخر في الهيئة الجديدة . .[٢]

وظهر تأثير السيد على الاستاذ سريعاً فبدأ في الكتابة والتأليف واتفق مع بعض الطلاب على ان يقرأ لهم بعض الكتب في المنطق وعلم الكلام مما لم يكن يقرأ مثلها في الازهر فكثر سواد المجتمعين عليه . حتى اشتهر امره مما

---

(١) المرجع السابق جـ١ ص ٢٠ .

(٢) تاريخ الاستاذ الامام : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٢٦ .

احفظ عليه قلب الشيخ محمد عليش الذي بلغه ان محمد عبده يقرأ كتب المعتزلة والمتكلمين في الازهر ويرجح مذهبهم وكان الشيخ عليش ـ كما يقول العقاد ـ رجلا صالحا عفيفاً عن المطامع الدنيوية التي كانت تستهوي طلاب المظاهر من علماء عصره وكان مخلصاً صادق النية في كراهة البدع التي يخشى منها على الدين[1] وكبر عليه رحمه الله ان يقرأ احد مثل تلك الكتب في الازهر فأرسل الى محمد عبده وناقشه نقاشاً افضى الى نزاع وخصومه قيل انه ترك التدريس على اثرها في الازهر وقيل انه لم يتركه وانه كان يضع بجانبه عصاً وقال اذا جاء الشيخ بعكازه فله هذه العصا .

وعرض نفسه على لجنة الامتحان في الازهر لنيل شهادة العالمية في سنة ١٢٩٤ هـ فحصل عليها ولم يكن نيله لها بالمانع له من الاستمرار في طلب العلم فكان له في طلبه ثلاث مراحل[2] :

الاولى : الطلب على طريقة الازهر المعروفة من مناقشة في عبارات المتون والشروح والحواشي والتقارير .

الثانية : ثم تحول عن تلك الطريقة الى طريقة السيد الافغاني الذي اطلقه من التقيد بعبارات المؤلفين وتعويده الحكم باليقين مع تطبيقه على حال المسلمين الحاضرة .

الثالثة : ثم اضاف الى هذا النظر في علوم الافرنج فقرأ مما ترجم من الكتب ثم تعلم الفرنسية وصار يقرأ بها .

المصلح المعلـــم :

عين بعد نيله الشهادة العالية مدرساً في دار العلوم للتاريخ وفي مدرسة الالسن الخديوية للعربية في اواخر سنة ١٢٩٥ هـ مع مداومته على التدريس

---

(١) الامام محمد عبده لعباس محمود العقاد ص ١٤٠ .

(٢) تاريخ الاستاذ الامام لرشيد رضا الجزء الأول ص ١٠٣ ـ ١٠٤ .

في الجامع الازهر فدرس في دار العلوم مقدمة ابن خلدون وكان غرضه من ذلك بث افكاره الاصلاحية في السياسة وفي المجتمع وفي التعليم عبر ذلك الدرس الذي يفتح له المصارع في الحديث عن تلك الامور من اوسع الابواب وكان يكلف تلاميذه بكتابة المقالات ليعودهم الاحساس بمشاركته في الاصلاح والنقد فتكون آرائه لديهم اكثر قبولا وتأثيراً الا انه لم يلبث طويلاً حتى عزل لصلته بالسيد جمال الدين الافغاني الذي صدر الامر بنفيه . عزل عن التدريس وأمر بالمقام في بلده لا يبرحه حتى صدر الامر بالعفو عنه سنة ١٢٨٧ هـ وعين رئيسا لتحرير الجريدة الرسمية « الوقائع المصرية » مما سنعرض له بعد وفي سنة ١٣٠٠ هـ ١٨٨٢م حكم عليه بالنفي لاشتراكه في الثورة العرابية وتوجه الى الشام حيث مكث فيه مدة نفيه الا عشرة اشهر اقامها في باريس اصدر خلالها مع الافغاني جريدة العروة الوثقى عاد بعد توقفها الى الشام فبدأ درسه في منزله في بيروت في السيرة النبوية وقرأ في الجامع الكبير التفسير لا يلتزم كتاباً وانما يقرأ في المصحف ويفسر[1] ودعي في سنة ١٣٠٣ هـ الى التدريس في المدرسة السلطانية فلبى وكان له فيها اصلاحات متعددة فزاد في العلوم التوحيد ومعاملات الفقه والتاريخ والمنطق والمعاني والانشاء ووجد أن المختصرات في التوحيد لا تأتي على الغرض من افادة التلامذة والمطولات تعلو على افهامهم والمتوسطات الفت لغير زمانهم فأملى عليهم ما هو أمس بحالهم فكانت « رسالة التوحيد »[2] ونقل الى العربية رسالة « الرد على الدهريين » لاستاذه الافغاني وشرح كتاب نهج البلاغة ومقامات بديع الزمان الهمذاني[3] .

كان هذا جزءاً من مساهمته في الحركة العلمية أما اهم اهدافه في الاصلاح التعليمي فتلخصها لنا اللائحتان اللتان قدمهما احداهما الى

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ ص ٣٩١ .

(٢) انظر رسالة التوحيد : محم عبده تصحيح محمد رشيد رضا ص ٢ .

(٣) العروة الوثقى ص ٣٢ .

الآستانة لاصلاح التعليم في سوريا والثانية الى اللورد كرومر لاصلاح التعليم في القاهرة بعد عودته من منفاه .

أما الأولى فقدمت في سنة ١٣٠٤ هـ إلى شيخ الاسلام في الأستانة قسم الناس فيها إلى طبقات ثلاث وعين لكل واحدة منها حدا من هذه الفنون فالطبقة الأولى العامة من أهل الصناعة والتجارة والزراعة ومن يتبعهم ينبغي أن توضع لهم كتب التعليم الديني على الوجه الآتي : ـ

اولاً : كتاب مختصر في العقائد الاسلامية المتفق عليها عند اهل السنة مع الالمام بشيء من الخلاف بيننا وبين النصارى وبيان شبههم في معتقداتهم .

ثانياً : كتاب مختصر في الحلال والحرام والتنبيه على البدع المستحدثة .

ثالثاً : كتاب في التاريخ مختصر يحتوي على مجمل سيرة النبي ﷺ واصحابه وخلفائه ثم يتبع ذلك بتاريخ الخلفاء العثمانيين .

أما الطبقة الثانية : فهم طبقة الساسة ممن يتعاطى العمل للدولة في تدبير امر الرعية وحماتها من العسكريين واعضاء المحاكم ورؤسائها ومأموري الادارة على اختلاف مراتبهم فتوضع لهم الدروس كالآتي :

أولاً : كتاب يكون مقدمة للعلوم يحتوي على المهم في فن المنطق واصول النظر وشيء من آداب الجدل .

ثانياً : كتاب في العقائد يوضع على قواعد البرهان العقلي والدليل القطعي مع التزام التوسط .

ثالثاً : كتاب يفصل فيه الحلال والحرام وابواب الفضائل والرذائل ببيان اكمل مما في البداية .

رابعاً : تاريخ ديني يحتوي على سيرة النبي ﷺ واصحابه والفتوحات الاسلامية والعثمانية .

أما الطبقة الثالثة فهي طبقة العلماء من اهل الارشاد والتربية واقتصر هنا على ذكر الفنون دون التعرض لاعيان الكتب الا قليلاً على هذا الوجه :

اولاً : فن تفسير القرآن الكريم كتفسير الكشاف وتفسير القمي والنيسابوري ومن اخذ طريقهما .

ثانياً : فنون اللغة العربية .

ثالثاً : فن الحديث مع التوفيق بينه وبين القرآن باطراح الضعيف والتوفيق بينه وبين ما يوهم المخالفة من الصحيح .

رابعاً : فن الاخلاق والآداب الدينية بتفصيل تام على نحو ما سلك الغزالي في الاحياء .

خامساً : فن اصول الفقه ونرى افضل كتاب لهذا المقصد الموفقات للشاطبي .

سادساً : فن التاريخ القديم والحديث .

سابعً : فن الاقناع والخطابة .

ثامناً : فن الكلام والنظر في العقائد .

وهذه الطبقة الاخيرة ينبغي ان تكون تحت نظر شيخ الاسلام وتكون ادارتها تحت عنايته في سلك خاص ويدعى لها بالمدرسين المتبصرين ولا يعطى الطالب منها شهادة عالية الا بعد امتحان شديد في العلوم المتقدمة والبحث الكامل عن سيرته في احواله واعماله والتحقق من تقدمه في الفضيلتين العلم والعمل[1] .

أما اصلاح التعليم في مصر فقد تمثل في اللائحة التي قدمها الى اللورد

---

(١) انظر تاريخ الاستاذ الامام محمد رشيد رضا الجزء الثاني في المنشآت . من ص ٥٠٥ الى ص ٥١٩ .

كرومر ممثل الاحتلال البريطاني وبدأ تلك اللائحة ببيان اهمية الاصلاح وان حاجة الحاكم الى صلاح الناس ليست بأخف من حاجتهم الى صلاحه ويشبه الحاكم بالصانع والمحكومين بالآلة فهو كاتب مثلا وهم قلمه فلا يكتب القلم بلا كاتب ولا يكتب الكاتب بلا قلم ثم يحث المستعمر على اصلاح التعليم ويسهل له الأمر مبينا ان أهل مصر قوم سريعو التقليد اذكياء الاذهان اقوياء الاستعداد للمدنية بأصل الفطرة فحاكمهم اذا كان رأسا فهم بدنه واذا كان عاملا فهم آلته فلا بد من استصلاحهم حتى يستقر سلطانه عليهم زمناً مديداً ثم يبين ان الاصلاح في المدارس التي ليس عليها رقيب سوى اهل السلطة السياسية لا غير فلهم ان يأخذوا من الدين اصوله ويغرسوها في المدارس ويحملوا نفوس طلاب العلم عليها ولا يستعرضون لما زاد عنها ثم بين انهم لن يجدوا من يعارض من أهل الدين لانهم لا يهتمون بما لا يقع تحت نظرهم مباشرة .

المدارس الاميريـــة :

ثم تكلم عن المدارس الاميرية وانه ليس فيها شيء من المعارف الحقيقية ولا التربية الصحيحة ثم بين رغبة الناس فيها زمن اسماعيل ليستريحوا من نفقة ابنائهم وان يتعلموا ما يؤهلهم للقيام بعمل من اعمال الحكومة . أما تكوينه بالتعليم والتربية رجلا صالحا في نفسه يحسن القيام بالاعمال التي تسند اليه فلم يخطر ببال المسلمين ولا من ولاهم امر التعليم .

المدارس الاجنبية :

أما المدارس الاجنبية على تنوعها فاختلاف مذاهب المعلمين والمتعلمين يضعف اثر تلك المدارس من التربية العمومية فقليل من المصريين من يرغب في تعليم اولاده فيها مع مداومتهم على نصيحة اولادهم بعدم الالتفات الى ما يقوله المعلمون فيها حفظاً لاعتقادهم . . مما يحدث الاضطراب في طبيعة الفكر والتزلزل في الاخلاق وقد احدثت هذه المدارس النفرة في قلوب المسلمين .

الجامـــع الأزهـــر :

هو مدرسة دينية عامة يأتي الناس اليها اما رغبة في تعلم العلوم الدينية رجاء ثواب الآخرة واما طمعا في امتيازات لطلاب العلم فيه ومما يؤسف عليه انه لا نظام لها في دروسها ولا يبالي الاساتذة بحضور الطلاب أو غيابهم وفهمهم أو عدمه وصلاح اخلاقهم أم فسادها ويتعلمون طرقا من العقائد على منهج يبعد عن حقيقته اكثر مما يقرب منها ثم يتكلم عن اصلاح الازهر وانه لا بد ان يكون بالتدريج في تغير نظام الدروس وجعلها في البدء تحت قواعد ساذجة قريبة من الحالة الحاضرة فيها بوجوب الحضور للطلبة والا حرم من الامتياز وكل استاذ يسأل عن طلبته وتغير برنامج الدروس وزيادة اصناف من الكتب وتعديل نظام الامتحان النهائي وشروطه .

ثم تكلم عن الكتاتيب الأهلية وان اصلاحها بالتدرج في اصلاح الفقهاء المدرسين فيها ثم تكلم عن المكاتب الرسمية الابتدائية والمدارس التجهيزية والمدارس العالية بوجوب غرس مبدأ الصلاح في نفوس التلاميذ ليحسنوا استعمال ما تعلموا ثم يتحدث عن المعلمين والمربين ومدرسة دار العلوم وشروط الانتساب اليها وغاية انشائها وهي اعداد خريج الازهرلتدريس العلوم العربية والدينية ويستغرب امر نظار دار العلوم وجهلهم بالدين والعربية ويرى امكانية حلول دار العلوم هذه عن الجامع الازهر ولكن يلزم لذلك امور اثنا عشر ذهب يعددها كاصلاح البرنامج وحذف بعض العلوم وتغير طريقة تفسير القرآن واختيار المعلمين الصالحين وناظر للمدرسة وتحديد الدراسة فيها سنة للتدريب على التعليم ونحو ذلك . ثم انه يلزم كتب تؤلف جديداً ولوائح تنظم للعمل على مقتضاها كان ذلك ايجازا لتلك اللائحة التي نبذها من كتبت له وراء ظهره ولم يوافق الخديو توفيق على تعيين صاحبها بعد عودته من سوريا مدرساً في دار العلوم بل أمر باقصائه عن التعليم فعين قاضياً في الريف[1].

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام جـ ٢ من ص ٥٣٣ الى ص ٥٥٣ ,

واستمر بعد هذا في اصلاحه للازهر الذي كان يسميه بـ « الاصطبل » و « المارستان » و « المخروب »[1] ولم تتح له الفرصة للاصلاح الا بعد ان تولى عباس الثاني الخديوية سنة ١٨٩٢م الذي اراد مناهضة الاحتلال الذي استأثر بالحكم فقرب الزعماء والعلماء المصريين وكان من بينهم الاستاذ الامام محمد عبده فذكر له انهم تركوا له الازهر والاوقاف الاسلامية والمحاكم الشرعية وبصلاحها صلاح للبلاد وهي اقرب وسيلة للقضاء على الاحتلال[2] فاقتنع عباس بهذا واصدر مرسوماً يقضي بانشاء مجلس لادارة الازهر من اعضائه محمد عبده سنة ١٣١٢ هـ وأمرا بتعيين الشيخ حسونة شيخا للازهر سنة ١٣١٣ هـ بعد استقالة الشيخ الانبابي الذي يعارض هذا الاتجاه فبدأ في الاصلاح الحسي والمعنوي فأنار المسجد وعين طبيباً وفتح صيدلية للازهر وانشأ الميضأة الصحية وتجديد مبان صحية في الاروقة وحددت مدة الدراسة وامتحان سنوي لمن يرغب مع مكافأة مالية للناجحين واستبدال الكتب النافعة بالكتب الضارة ـ حسب قولهم ـ وجعل مدة دراسة المقاصد كالفقه والتفسير اطول من مدة الوسائل كالنحو والصرف وبزيادة علم الاخلاق والتاريخ وتقويم البلدان والرياضيات وغير ذلك كثير من الاصلاحات التي نفذ القليل منها وترك الكثير اذ لم يلبث ان تغير ظن عباس باشا بالاستاذ الإمام أدّى الى خلاف فاستقال محمد عبده في محرم سنة ١٣٢٣ هـ وكان هذا آخر جهوده في اصلاح التعليم . فمات بعد ذلك بفترة قصيرة .

ومن الملاحظ اني استطردت في هذا الموضوع اذ هو المراد الاكبر الذي وجه اليه الاستاذ الامام همه وفكره إذ كان يرى ان النهضة الاسلامية لن تكون الا باصلاح التعليم وخالف استاذه الافغاني الذي يرى ان السبيل الى ذلك « الثورة السياسية » فكانت دعوة الأول علمية والثاني سياسية .

وقد كان للامام نشاط سياسي ايضاً نشير اليه .

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ ص ٤٩٥ .

(٢) المجددون في الاسلام عبد المتعال الصعيدي ص ٥٣٤ ـ ٥٣٥ .

المصلح السياسي :

كان من اهداف الامام الاصلاح السياسي للبلاد حيث يقول « وهناك امر آخر كنت من دعاته والناس جميعاً في عمى عنه وبعد عن تعقله ولكنه هو الركن الذي تقوم عليه حياتهم الاجتماعية »[1] ثم يبين دعوته بقوله « ذلك هو التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب وما للشعب من حق العدالة على الحكومة »[1] ثم يبين حالها « وجهرنا بهذا القول »[1] وحال الدولة « والاستبداد في عنفوانه والظلم قابض على صولجانه »[1] وحال الداعي « نعم انني لم أكن الامام المتبع ولا الرئيس المطاع غير اني كنت روح الدعوة »[1] وزاد هذه الدعوة اشتعالا اتصال صاحبها بالأفغاني الذي زادها اتساعاً وعمقاً ولم يلبث الافغاني ان نفي من البلاد لهذا النشاط وعزل الامام عن عمله واجبر على الاقامة في بلده وبعد العفو عنه وعودته الى العمل كانت في البلاد حركة ضد الاحتلال يقودها عرابي كان من اسبابها نشاط الافغاني السابق نفى الامام ان يكون له بها صلة بل انه كان يحذرهم من هذا الأسلوب ويندد بزعمائها حتى أرسل اليه عرابي من يتهدده[2] ويعلل رشيد رضا رفض الامام للحركة مع دعوته للاصلاح السياسي انه كان يحاول ذلك برضا الامير وحكومته لا بالخروج عليه[3] ولما استفحلت الحركة العرابية وضرب الاسطول الانجليزي الاسكندرية انضم الشيخ محمد عبده الى العرابيين وبعد القضاء على الثورة العرابية حكم على الامام بالنفي ثلاث سنوات فاتجه الى الشام ثم غادرها بعد ذلك الى باريس حيث التقى هناك بالافغاني وأنشئآ جريدة العروة الوثقى التي كانت حربا على الاستعمار الانجليزي وكانت الافكار للافغاني والعبارة للامام[4] ثم توقفت الجريدة بعد فترة قصيرة واهتزت العلاقة بين الاستاذ

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ ص ١٢ .

(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ١٤٦ .

(٣) المرجع السابق جـ ١ ص ١٤٩ .

(٤) جمال الدين الافغاني محمود ابو ريه ص ٤٣ وانظر تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ ص ٢٨٩ .

وتلميذه فقد كان الاستاذ يرى الاستمرار في الاصلاح عن طريق الثورة السياسية واكتفى محمد عبده بما حصل له من السياسة ورأى التحول الى أسلوب التربية والتعليم قائلاً لاستاذه « أرى ان نترك السياسة ونذهب الى مجهل من مجاهل الارض لا يعرفنا فيه احد نختار من اهله عشرة غلمان او اكثر من الأذكياء السليمي الفطرة فنربيهم على منهجنا ونوجه وجوههم الى مقصدنا فاذا اتيح لكل واحد منهم تربية عشرة آخرين لا تمضي بضع سنين اخرى الا ولدينا مئة قائد من قواد الجهاد في سبيل الاصلاح ومن امثال هؤلاء يرجى الفلاح » فقال له السيد انما انت مثبط نحن قد شرعنا في العمل ولا بد من المضي فيه ما دمنا نرى له منفذاً[1] فكان الفراق . وعاد الامام الى الشام وازدادت العلاقة سوءاً بين الاستاذ وتلميذه حينما كتب الثاني الى الأول بعد استقراره في الآستانة كتاباً غفلاً من التوقيع وتلميحاً لبعض الاشخاص من غير ذكر اسمائهم فغضب السيد وكتب اليه يقول بعد الدعاء له بتثبيت الجأش « تكتب ولا تمضي وتعقد الألغـاز . . انك في آفاق مكفهرة . . وامامك الموت . . لا ينفعك الحذر من الأول ولا ينجيك الخوف من الثاني فلا تضيق على نفسك فكن فيلسوفاً يرى العالم العوبة ولا تكن صبياً هلوعاً . . قوى الله قلبك »[2] .

ولعل هذا آخر ما كان بينهما من تواصل[3] بل ويوضح لنا انقطاع الصلة بينهما انا لا نرى للامام كلمة في رثاء استاذه[4] .

ونهج الاستاذ الامام بعد عودته سبيل الاصلاح التعليمي وازدادت كراهته للسياسة شدة وغمز في طريقة استاذه بتخطئته اذكياء المسلمين الذين يريدون خدمة الاسلام من طريق السياسة[5] وبلغ كرهه للسياسة أوجه حين

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ ص ٤١٦ ـ ٤١٧ .
(٢) المرجع السابق جـ ص ٨٩٧ .
(٣) زعماء الاصلاح في العصر الحديث احمد امين ص ١١٥ ـ ١١٦ .
(٤) جمال الدين الافغاني عبد الرحمن الرافعي ص ١٣٢ .
(٥): تاريخ الاستاذ الامام ص ٤٢٥ الجزء الأول .

قال « اعوذ بالله من السياسة ومن لفظ السياسة ومن معنى السياسة ومن كل حرف يلفظ من كلمة السياسة ومن كل خيال يخطر ببالي من السياسة ومن كل أرض تذكر فيها السياسة ومن كل شخص يتكلم أو يتعلم أو يجن او يعقل في السياسة ومن ساس ويسوس وسائس ومسوس »[1] وليس بعد هذا كره للسياسة .

بقي ان نقول هنا انه ترك السياسة ولم تتركه بل استغلته واتخذته مطية لها وخادماً للانجليز من حيث يدري او من حيث لا يدري حيث يقول اللورد كرومر : « ان اهميته السياسية ترجع الى انه يقوم بتقريب الهوة التي تفصل بين الغرب وبين المسلمين وانه هو وتلاميذ مدرسته خليقون بأن يقدم لهم كل ما يمكن من العون والتشجيع فهم الحلفاء الطبيعيون للمصلح الأوروبي »[2] .

المصلح الصحفـــي :

شارك الامام محمد عبده في الصحافة فبدأ الكتابة في الاهرام ثم كتب في التجارة وفي مصر بايماء من استاذه الافغاني[3] الذي ساهم في انشائهما وكانتا مع غيرهما من المجلات كمرآة الشرق طوع اشارة الافغاني[4] ثم وبعد نفي السيد والعفو عن الامام بعد عزله عن التدريس اسند اليه منصب التحرير لجريدة « الوقائع المصرية » وهي الجريدة الرسمية وقد ارادوا بهذا عزله عن الاصلاح والتعليم ولكنه قلب الموازين والمقاييس فجعلها منبراً لبث افكاره وآرائه بعد ان عين رئيساً للتحرير فاختار لها محررين مهرة ووضع لها لائحة انفذها رياض باشا وكان من احكامها ان جميع الادارات الحكومية مكلفة ان تكتب للجريدة بما عملت فأتمت وما شرعت فيه ولم تتمه وكذلك المحاكم

---

(١) الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية محمد عبده ص ١١١ .

(٢) Modern Egypt, : Cromer p. 180.

(٣) تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ ص ٤٥ .

(٤) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٧ .

وان للجريدة الحق في نقد الاعمال والمكتوبات الرسمية والمراقبة على الجرائد عامة والتحقيق فيما تنشره من نقد فان كان حقاً وجب عقاب المذنب وان كان كذباً انذر مدير الجريدة فاذا تكرر ثلاثاً فلها منع اصدارها البتة أو الى اجل ومن حقها ان يجعل فيها قسم غير رسمي ينشر فيه ما يرى نافعاً من المقالات الأدبية[1] فكان لها مكانة كبيرة في بث افكاره ووقعت الثورة العرابية ونفي الشيخ ، وانشأ مع الافغاني العروة الوثقى وكانت العبارة فيها كما قلنا سابقاً عبارته والفكرة فكرة الافغاني وكانت لها مكانة في الكفاح ضد الاستعمار الانجليزي .

وعاد الى سوريا وكان له مشاركة في الصحف السورية كجريدة « ثمرات الفنون » البيروتية وبعد عودته الى مصر استشاره تلميذه السيد رشيد رضا في اصدار مجلة فأذن له وشارك في انشائها واختار لها اسم « المنار » ووجه صاحبها الى بعض الأمور[2] وكانت تنشر دروسه واخباره وتفسيره للقرآن الكريم .

المصلح والتقريب بين الاديان :

لا شك ان اليهودية العالمية « الصهيونية » لا تألوا جهدا في سبيل تثبيت اركانها وتوطيد قوائمها ولا تترك سبيلاً لتحقيق ذلك الا انتهجته .

ومهما كان من تناقض بين هذه المبادىء والمناهج فانها تلتقي في النهاية عند خدمة الصهيونية العالمية .

فليست الرأسمالية الا وليدة الصهيونية العالمية وليست نقيضتها الشيوعية الا وليدة افكارها ومبادئها وهما تلتقيان على خدمتها وترسيخ نفوذها مهما كان التناقض بينها ظاهراً .

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام : للسيد محمد رشيد رضا جـ ١ ص ١٠٠ وما بعدها .
(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ١٣٧ ـ ١٣٩ .

سعت الصهيونية الى القضاء على الاديان كافة فانشأت الماسونية وكانت لها محافل انجليزية وفرنسية وغيرها وكلها قد يبدو ظاهرها انها لا تخدم الا من تنتسب اليه اما الانجليز أو الفرنسيين مثلاً ولكنها في الحقيقة فوق هذا وذاك هي في خدمة الصهيونية العالمية .

ارادت الصهيونية ان تفتح طريقاً جديداً لتحقيق اهدافها حين ادركت ان بعض القوم قد ادركوا حقيقة الماسونية وسعيها للقضاء على الاديان فأرادت وحتى تكون اكثر قرباً للمتدينين ان يكون هذا الطريق طريقاً دينياً بحتاً فأمرت اتباعها ببث فكرة التقريب بين الاديان والقضاء على الفوارق الدينية حتى يكون الناس كلهم أمة واحدة .

وما تلكم الدعوة في حقيقتها الا تذويب للاديان وامتصاص لعدواتها لليهودية وحينما يتم التقريب بين الاديان فان العلمانية ـ حتما ـ هي النتيجة وحينئذ يسهل القضاء عليها لتزول الاديان كلها وتتحقق اهداف الماسونية من طريق جديد ـ بل اهداف الصهيونية .

غابت تلك الحقيقة عن اذهان كثير من المخدوعين بما ينتجه الغرب والمشدوهين بما يصدر منه من افكار ومبادىء ، أعماهم الاعجاب بالغرب عن التأمل فيما يبثه من افكاره واكتفوا منه بصبغته الظاهرة للعيان .

وكان من اولئك القوم المخدوعين رجال المدرسة العقلية الحديثة بزعامة استاذهم وامامهم محمد عبده فبعد ان توقفت العروة الوثقى وعاد الامام الى بيروت انشأ فيها جمعية سياسية دينية سرية هدفها التقريب بين الاديان الثلاثة (الاسلام والمسيحية واليهودية) واشترك معه في تأسيسها ميرزا باقر ، وبيرزاده ، وعارف ابي تراب ، وجمال بك نجل رامز بك التركي قاضي بيروت ، ثم انضم اليها مؤيد الملك احد وزراء ايران ، وحسن خان مستشار السفارة الايرانية بالآستانة ، والقس اسحاق طيلر ، وجي دبليو لينتر ، وشمعون مويال ، وبعض الانكليز واليهـود وكان الامام صاحب الرأي الأول

في موضوعها ونظامها وميرزا باقر هو الناموس (السكرتير) العام لها[1] وهو ايراني تنصر وصار مبشراً نصرانياً وتسمى بميرزا يوحنا ثم عاد الى الاسلام .

ودعا أعضاؤها الى فكرتهم في صحفهم ورسائلهم ، وهذا الشيخ محمد عبده يكتب رسالة الى القس اسحاق طيلر يقول فيها « كتابي الى الملهم بالحق الناطق بالصدق حضرة القس المحترم اسحاق طيلر أيده الله في مقصده ووفاه المذخور من موعده» « الى ان قال « . . ونستبشر بقرب الوقت الذي يسطع فيه نور العرفان الكامل فتهزم له ظلمات الغفلة فتصبح الملتان العظيمتان المسيحية والاسلام وقد تعرفت كل منهما الى الاخرى وتصافحتا مصافحة الوداد وتعانقتا معانقة الالفة ، فتغمد عند ذلك سيوف الحرب التي طالما انزعجت لها ارواح الملتين[2] « ويقول : ـ « وانا نرى التوراة والانجيل والقرآن ستصبح كتباً متوافقة ، وصحفا متصادقة يدرسها ابناء الملتين ويوقرها ارباب الدينين فيتم نور الله في ارضه ويظهر دينه الحق على الدين كله »[2] ؟!!

بينما يردد الشيخ محمد عبده هذا القول وامثاله ينشر جي دبليولينتر مقال (الاسلام والمدارس المحمدية) في الديلي تلغراف اللندنية جاء فيه « واحسان المسلمين لمواليهم واشفاقهم على البهائم التي ترجع ايضاً الى الربّ وانفاقهم في سبيل الخير والسذاجة التي هي من خصال المؤمنين الصادقين أحرى بأن تميلنا اليهم من أن نصيح على النبي الكاذب »[3] وقال ايضاً « وان كنا نريد ان نلصق المسلمين بالدولة الانكليزية فيجب علينا ان نهب لهم الدين والدنيا »[3] وقال « ومن جملة المساعي التي أؤكد الشروع فيها أدخال الشبان المسلمين . . في مدارسنا الحربية »[3] . ويقول اسحاق

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام : للسيد رشيد رضا جـ ١ ص ٨١٩ ، ٨٢٠ ، ٨٢٨ .

(٢) الاعمال الكاملة لمحمد عبده : جمع وتحقيق محمد عمارة جـ ٢ ص ٣٦٣ ـ ٣٦٤ .

(٣) تاريخ الاستاذ الامام : السيد محمد رشيد جـ ١ ص ٨٢٠ ـ ٨٢٢ .

طيلر « ان المسلمين قد آمنوا بالمسيح عليه السلام . . فهم عندنا مسيحيون نصلي لهم كل يوم أحد ونسأل الله يهديهم وايانا الى الحق والى طريق مستقيم »[1] .

أيّ تقريب هذا ؟! الأول يضع نصب عينيه خدمة دولته الانكليزية فيصور حالة المسلمين كما فهمها ويرشدها الى الطف المداخل لالصاق المسلمين بها وينصحها بالمزاوجة بين الدين والدنيا في حكمها ويشير عليها بتدريب الشبان المسلمين في مدارسها الحربية ليكونوا اعوانا لهم في تحقيق مساعيهم .

• اين التوفيق والتقريب ؟! اللهم الا ان يكون اخضاع المسلمين للانكليز وايقاعهم في حبائلهم يعني توفيقاً[2] .

أما الثاني فيكشف عن مراده بالمسلمين « فهم عندنا مسيحيون » ويصلي لهم كل يوم أحد ويسأل الله لهم الهداية .

ولعل أول ثمرة يجنيها اولئك القوم في سعيهم الى التقريب بين الاديان القضاء على فكرة الجهاد في الاسلام فما دامت الاديان الثلاثة كلها حق وليس بينها من فرق فليس هناك من داع لحمل السيف واعلان الجهاد ضد النصارى مثلاً ، وهو الأمر الذي اقلق بريطانيا كثيراً وهي دولة نصرانية فسعت بشتى السبل للقضاء على هذه العقيدة الاسلامية فانشأت القاديانية التي حرمت قتال الانجليز والبهائية كذلك ، وأيدت حركة أحمد خان الذي اعلن ان قتال الانجليز كفر وان مساعدتهم واجبة .

ومن اثر هذه الدعوة ما نراه بارزاً في حديث رجال المدرسة العقلية الحديثة من تقليل شأن الجهاد في نشر الاسلام وانه قام على الدعوة باللسان « وعللوا كل حركة من حركاته بأنها للدفاع بمعناه الاصطلاحي الحاضر

---

(١) المرجع السابق جـ ١ ص ٨٢٦ .

(٢) الفكر الاسلامي المعاصر : غازي التوبة ص ٢١ . .

الضيق »[1] فلقد زعم السيد رشيد رضا « ان حروب النبي ﷺ للكفار كانت كلها دفاعاً »[2] .

لذلك فلا عجب ان تؤيد انجلترا تلك الجمعية وذلك الاتجاه ما دام فيه تحقيق لهدف طال ما سعت اليه وبذلت فيه الغالي النفيس وهو ابطال الجهاد .

لن نحاسب رجال المدرسة العقلية بزعامة استاذهم بحقيقة عصرناالتي كشفت زيف هذه الدعوات في توحيد الاديان ففي الوقت الذي يدعو فيه بعض المسلمين الى التقريب بين الاسلام والنصرانية ويتنقلون بين باريس والفاتيكان تقوم بعض الدول النصرانية باشعال نار الحرب الصليبية العاشرة في لبنان ، لا للتقريب بين المسلمين والنصارى فيه بل لطرد المسلمين وانفراد النصارى به واقامة دولة نصرانية في لبنان كالدولة اليهودية في فلسطين ، ولا غرو ان تقوم الدولة اليهودية « اسرائيل » بمساعدة النصارى في ذلك وتمكينهم من قيام دولة لهم بجوارهم ففي ذلك تبرير لقيام اسرائيل اليهودية[3] أولا وحرب للاسلام ثانياً ﴿ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾[4] .

---

(١) خصائص التصور الاسلامي : سيد قطب ص ١٨ .

(٢) الوحي المحمدي : للسيد محمد رشيد رضا ص ٢٧٢ .

(٣) كتب الاستاذ فريد ابو شهلا رئيس تحرير مجلة الجمهور اللبنانية في العدد ١٢٦٢ السنة ٤٣ بتاريخ ١٢ ـ ١٨ تموز ١٩٧٩م عن علاقة هنري كيسنجر وزير الخارجية الامريكي السابق بالحرب اللبنانية فقال :

« والناس ما برحوا يرددون ان خطة تخريب لبنان وضعتها عبقرية « العزيز هنري » ريمون أده قال ذلك مراراً والرئيس السابق سليمان فرنجية قاله من على صفحات هذه المجلة وغيرهما عدد كبير من الزعماء اللبنانيين اشاروا باصبع الاتهام الى وزير الخارجية الامريكية السابق محملينه مسؤولية ما حصل ويحصل في لبنان منذ ١٣ نيسان ١٩٧٥م متهمينه بتنفيذ مشروع تقسيم الشرق الاوسط الى دويلات طائفية صغيرة تشبه اسرائيل لتبرر في النتيجة قيام هذه الدولة اليهودية العنصرية » .

(٤) سورة البقرة الآية ١٢٠ .

ومع هذا تأبى طائفة منا ان تصدق بهذا وتحاول ان تخدع نفسها بتسميتها بحرب اهلية وما هي بأهلية ولكنها صليبية وليرحمك الله يا صلاح الدين . .

لن نحاسب الامام بهذه الحقيقة وحقائق غيرها كثيرة ولكننا نحاسبه بحقيقة الاسلام التي لا تخفى على مثله وعلى امثال تلاميذه .

جاور الرسول ﷺ يهود المدينة سنوات دعاهم فيها الى الاسلام ولم يدعهم الى التوفيق أو التقريب .

وحاجّ وفد من نجران الرسول ﷺ فدعاهم الى الاسلام ولم يدعهم الى التوفيق أو التقريب ، ولو علم خيراً أو بعض خير في ذلك لفعله[1] .

وكتب الىٰ هرقل عظيم الروم « اما بعد . . فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين فان توليت فان عليك اثم اليريسيين و﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[2] [3] .

وليست تلك الطريقة خاصة به ﷺ بل هي « دعاية الاسلام » ولم يدعه الى التقريب والتوفيق بل الى « اسلم تسلم » كان الاحرى بمحمد عبده ومن نحا نحوه ان يدعوهم الى الكلمة السواء امتثالاً لأمر القرآن ـ الذي حفظه في صغره ـ واقتداء بنبيه ﷺ وكان الاحرى بالنصارى حاملي هذه الفكرة كشف الحقيقة الاسلامية لقومهم بدلاً من تزييفها وطمسها عنهم وبدلاً من استغلال احوال المسلمين لتنصيرهم وافساد شبابهم .

---

(١) الفكر الاسلامي المعاصر : غازي التوبة : ص ٢٢ ـ ٢٣ .

(٢) سورة آل عمران الآية ٦٤ .

(٣) اعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين : شمس الدين محمد بن طولون الدمشقي ص ١٢ .

نحاسبهم بقول محمد رشيد رضا الذي يرثي في جريدته « المنـــار » «خريستو غورس جباره » الذي وصل في الكنيسة الارثوذكسية الى رتبة الارشمندريت بقوله « كان الفقيد موحداً يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقرآن ورسالة محمد ﷺ ويخالف المسلمين في مسألة الصلب» يـؤمن بالقرآن ويعتقد بالصلب !! ويؤمن بمحمد ولا يتبعه !! ويؤمن بالقرآن ولا يمتثل أوامره !! ثم يفوض السيد رشيد أمره في الآخرة الى العليم الرحيم الا انه يندم على هذا فيستدرك في تاريخ الاستاذ الامام ويقول « وانا اعتقد انه مؤمن ناج عند الله اذا كان قد مات على ما عرفته منه وهو في مسألة الصلب متأول معذور » !![1] .

المصلح القاضـــي :-

وكان من اصلاحات الامام اصلاح المحاكم الشرعية بعد ان عهدت اليه الحكومة بعد تقليده الافتاء بتفتيشها وبيان رأيه في اصلاحها فكتب تقريراً في ٨٣ صفحة كان من اهم الاقتراحات توسيع دائرة اختصاصها وعدم حصر منصب القضاء في الحنفيين وتأليف لجنة من العلماء لاستخراج كتاب في احكام المعاملات الشرعية ينطبق على المصالح في هذا العصر[2] واصلاح المحاكم واثائها وزيادة الرواتب والاستقلال بالرأي والعناية بتنفيذ أحكامها .

المصلح الاجتماعـــي :-

أسس محمد عبده مع نفر من اصدقائه « الجمعية الخيرية الاسلامية » وكان هو الواضع لمشروع نظامها وهدفها تربية اولاد الفقراء تربية يحافظون فيها على عقائدهم وآداب دينهم واخلاقه واعماله ويستعينون بها على معايشهم وتحصيل ارزاقهم[3] وقد فسر محمد عبده جزء عمّ لطلابها وكان في نيته ان

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام : للسيد محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٨٢٧ ـ ٨٢٨ .
(٢) تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ ص ٦١٥ ـ ٦١٦ .
(٣) المرجع السابق جـ ١ ص ٧٣١ .

يتبعه بتفسير جزء تبارك[1] وادركته المنية قبل ذلك وقد اتسع نشاط هذه الجمعية وكثرت مدارسها وعمّ نفعها .

وكان له من النشاط الاسلامي ايضاً جمعية احياء الكتب العربية التي قامت بطبع بعض الكتب الدينية والعربية .

وكتب لائحة في اصلاح المساجد واوضاع القائمين بها من أئمة ومؤذنين وخدم وملاحظين وقراء، عمل ببعضها وترك الباقي .

تفسيـــره :

كان من اهداف محمد عبده تنقية تفسير القرآن مما علق به من الاسرائيليات والاحاديث الموضوعة والخرافات والاستطرادات النحوية ونكت المعاني ومصطلحات البيان وجـدل المتكلمين وتخريجـات الاصوليين واستنباطات الفقهاء المقلدين وتأويلات المتصوفين وتعصب الفرق وكثرة الروايات والعلوم الرياضية والطبيعية[2] .

ولم يكن تطهير التفاسير القديمة من هذا أمراً ميسوراً فهو تراث ضخم يحتاج تجريده منها الى امكانات واسعة من اموال وعلماء وزمن وذلك عسير فلهذا رأى أن يبقى على هذا التراث كما هو لما فيه من نفائس وان يضع نموذجاً للتفسير يحتذيه معاصروه ومن بعدهم[3] فأقترح عليه تلميذه محمد رشيد رضا ان يقرأ درساً في تفسير القرآن فاستجاب له وبدأ التفسير في الازهر في غرة المحرم ١٣١٧ هـ وانتهى في سنة ١٣٢٣ هـ عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطاً﴾ من الآية ١٢٥ من سورة النساء وكان تفسيره الخمسة مجلدات الأولى من تفسير المنار وتوفي بعد ذلك .

وقد كانت طريقته في الدرس التوسع فيما اغفله أو قصر فيه المفسرون

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ ص ٧٨٨ .

(٢) تفسير المنار محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٧ .

(٣) اتجاه التفسير في العصر الحديث مصطفى محمد الحديدي ص ٢٢ .

واختصار ما برزوا فيه . والروايات التي لا تدل عليها ولا تتوقف على فهمها الآيات ويتوكأ في ذلك على عبارة تفسير الجلالين فكان يقرأ عبارته فينقدها أو يقرها ثم يتكلم بما يفتح الله عليه[1] .

وقد سبق له التفسير قبل هذا القاء وكتابة فألف تفسير جزء عم لطلبة الجمعية الخيرية الاسلامية كما سبق والف تفسيراً لسورة العصر القاه في الجزائر ثم نشره في المنار وطبع بعد ذلك مستقلاً وهو غير تفسيرها في جزء عم . وكان يشرح بعض الآيات التي يثار حولها بعض الشبهات كالآيات ٥٢ ـ ٥٣ ـ ٥٤ من سورة الحج وهي قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ الى قوله سبحانه ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ فند فيها قصة الغرانيق وكقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾ ٣٧ الاحزاب ويفند الشبهات في مسألة زيد وزينب .

ولن نعرض لمنهجه في التفسير اذ هو اصل منهج المدرسة الذي سنعرض له في محله الا انه ينبغي لنا ان نذكر هنا بيتا قاله في مرض موته ضمن ابيات :

ويخرج وحي الله للناس عاريا عن الرأي والتأويل يهدي ويلهم

وعلق عليه تلميذه رشيد رضا بأنه « آخر نص صريح من الاستاذ الامام في اتباع مذهب السلف في تفسير القرآن . . ومراده بالرأي الذي ينهى عنه اتباع الهوى . . وبالتأويل الخروج في تفسيره عن مدلول النظم العربي البليغ وما يخالف المحكم الذي هو أم الكتاب أو ما أجمع عليه اهل الصدر الأول »[2] فهل هو رجوع منه الى منهج السلف عند وفاته .

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ ص ٧٦٨ .

(٢) تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ ص ١٠٢٧ .

مؤلفـــاتـــه :

لم يكن الامام يميل الى التأليف بل كان يرى ان الكلام المسموع يؤثر في النفس اكثر مما يؤثر الكلام المقروء « ويعلل هذا « بأن نظر المتكلم وحركاته واشارته ولهجته في الكلام كل ذلك يساعد على فهم مراده من كلامه » وانه « يمكن السامع ان يسأل المتكلم عما يخفي عليه من كلامه فاذا كان مكتوباً فمن يسأل ؟ وان السامع يفهم ٨٠٪ من مراد المتكلم والقارىء لكلامه يفهم منه ٢٠٪ على ما اراد الكاتب »[١] .

كانت تلك نظرة الامام الى التأليف ولعلها أثر من آثار استاذه فيه ولكنه مع هذا خلف مؤلفات غير قليلة وكتب الكثير في الصحف فمن مؤلفاته غير ما سبق ذكره في تفسيره :

١ ـ الواردات : اول تآليفه في الكلام أو التوحيد على الطريقة الصوفية واسلوبهم[٢] .

٢ ـ رسالة في وحدة الوجود .

٣ ـ تاريخ اسماعيل باشا .

٤ ـ فلسفة الاجتماع والتاريخ الفه حينما كان مدرساً في دار العلوم وهي مفقودة .

٥ ـ حاشية عقائد الجلال الدواني في علم الكلام ونشرتها دار احياء الكتب العربية بتحقيق سليمان دنيا في مجلدين تحت عنوان « الشيخ محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين»سنة ١٣٧٧ هـ[٣] .

٦ ـ شرح نهج البلاغة وهو الكتاب المنسوب الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه وطبع مراراً .

---

(١) المرجع السابق جـ ١ ص ٧٦٦ .

(٢) شكك محمد عمارة بصحة نسبة هذه الرسالة الى محمد عبده واثبت انها للأفغاني الاعمال الكاملة للامام محمد عبده جـ ١ ص ٢٠٦ ـ ٢٠٨ .

(٣) ايضا شكك محمد عمارة بصحة نسبة هذه الحاشية أو التعليقات للامام محمد عبده . ومال الى انها للأفغاني (الاعمال الكاملة لمحمد عبده ص ٢٠٩ ـ ٢١٩ .

٧ ـ شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني وهو مطبوع .
٨ ـ شرح البصائر النصيرية في المنطق .
٩ ـ نظام التربية والتعليم بمصر .
١٠ ـ رسالة التوحيد وهي اهم مؤلفاته واشهرها على الاطلاق وطبعت مراراً وحازت على قبول كثير من النصارى فاقترح بعضهم تدريسها في مدارسهم بعد حذف مبحث نبوءة محمد ﷺ وتبرع آخر بتوزيع بعض نسخها وقرظها بعضهم باعجاب شديد ولم يسمح المؤلف لاحد ان يشرح هذه الرسالة ولا ان يضع لها حاشية وعلل هذا تلميذه رشيد رضا بأنه تعمد الابهام في بعض المباحث[1] .
١١ ـ تقرير المحاكم الشرعية .
١٢ ـ الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية وطبع مراراً .

وقد سبق لنا القول في مؤلفات الافغاني انه قد وقع الخلط في بعض الرسائل المطبوعة بين ما للافغاني وما لمحمد عبده كبحث التعصب مثلاً والقضاء والقدر والوحدة الاسلامية وهي مقالات نشرت في العروة الوثقى .

اهدافه وآراؤه :

يلخص لنا محمد عبده ما نادى به وارتفع صوته بالدعوة اليه بما نقتبس منه :ـ

الأول : تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف واعتباره من ضمن موازين العقل البشري التي وضعها الله لترد من شططه وتقلل من خلطه وانه على هذا الوجه يعد صديقاً للعلم .

الثاني : اصلاح اساليب اللغة العربية في التحرير .

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ ص ٧٨٢ ـ ٧٨٣ .

الثالث : وهناك امر آخر كنت من دعاته والناس جميعاً في عمى عنه وبعد عن تعقله ذلك هو«التمييزبين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب وما للشعب من حق العدالة على الحكومة »[1] .

ثم يعلن النتيجة « انني في كل ذلك لم اكن الامام المتبع ولا الرئيس المطاع غير اني كنت روح الدعوة وهي لا تزال بي في كثير مما ذكرت قائمة ولا ابرح ادعو الى عقيدتي في الدين .

واطالب باتمام الاصلاح في اللغة وقد قارب .

أما امر الحكومة والمحكوم فتركته للقدر يقدره وليد الله بعد ذلك تدبره »[1] .

وصلة العقل عند الامام بالدين وثيقة « ان العقل وحده لا يستقل بالوصول الى ما فيه سعادة الامم بدون مرشد الهي »[2] وقد اكرم الاسلام العقل « ورفع القرآن من شأن العقل ووضعه في مكانه بحيث ينتهي اليه امر السعادة والتمييز بين الحق والباطل والضار والنافع »[3] بل ان الاسلام عنده يعتمد على الدليل العقلي ويحتج به لا بالمعجزات : ـ « فالاسلام في هذه الدعوة والمطالبة بالايمان بالله ووحدانيته لا يعتمد على شيء سوى الدليل العقلي والفكر الانساني الذي يجري على نظامه الفطري فلا يدهشك بخارق للعادة ولا يغشى بصرك باطوار غير معتادة ولا يخرس لسانك بقارعة سماوية ولا يقطع حركة فكرك بصيحة الهية »[4] .

ليس هذا فحسب بل يعتقد الامام ان الايمان بالله لا يؤخذ من الرسول ولا من الكتاب ولا يصح اخذه منهما بل من العقل« وقد اتفق المسلمون الا قليلاً

---

(١) المرجع السابق جـ ١ ص ١١ ـ ١٢ .
(٢) رسالة التوحيد محمد عبده ص ١٢٨ ـ ١٢٩ .
(٣) المرجع السابق ص ١٩ .
(٤) الاسلام والنصرانية محمد عبده ص ٥٤ ـ ٥٥ .

ممن لا يعتد برأيه فيهم ـ على ان الاعتقاد بالله مقدم على الاعتقاد بالنبوات وانه لا يمكن الايمان بالرسل الا بعد الايمان بالله فلا يصح ان يؤخذ الايمان بالله من كلام الرسل ولا من الكتب المنزلة فانه لا يعقل ان تؤمن بكتاب انزله الله الا اذا صدقت قبل ذلك بوجود الله وبأنه يجوز ان ينزل كتاباً ويرسل رسولاً »[1] .

أما اذا تعارض العقل والنقل عنده فقد « اتفق اهل الملة الاسلامية الا قليلاً ممن لا ينظر اليه على انه اذا تعارض العقل والنقل اخذ بما دلّ عليه العقل »[2] .

وتولد من رأيه هذا في صلة العقل بالدين ان دعا الى الاجتهاد ونبذ التقليد واطراحه فقد « انحى الاسلام على التقليد وحمل عليه حملة لم يردها عنه القدر فبددت فيالقه المتغلبة على النفوس »[3] و « علا صوت الاسلام على وساوس الطغام وجهر بأن الانسان لم يخلق ليقاد بالزمام ولكنه فطر على ان يهتدي بالعلم والاعلام ـ اعلام الكون ودلائل الحوادث ـ وانما المعلمون منبهون ومرشدون والى طريق البحث هادون »[3] وان الاسلام « صرف القلوب عن التعلق بما كان عليه الآباء وما توارثه عنهم الابناء وسجل الحمق والسفاهة على الآخذين باقوال السابقين »[3] .

وقد كان لهذا المنهج اثره في حياة السيد الامام في اعماله واقواله فلم يقبل بالحالة التي كان عليها الازهر لانها قائمة على التقليد فدعا الى الاصلاح والتجديد ورأى الجفوة بين العالمين الاسلامي وغير الاسلامي فدعا الى التقريب وساءته حال التربية والتعليم فدعا الى التهذيب ونظر نظرة في السياسة ابدى فيها رأيه ولا نريد الاطالة فقد تقدم البيان .

---

(١) الاسلام والنصرانية محمد عبده ص ٥٤ ـ ٥٥ .
(٢) المرجع السابق ص ٥٩ .
(٣) رسالة التوحيد محمد عبده ص ١٥٧ ـ ١٥٨ .

ما يؤخـذ عليــه :

ليس من السهل ذكر اكثر المآخذ على الشيخ محمد عبده فضلاً عن ذكرها جميعاً ، وتقدم ذكر بعضها بما يغني عن اعادته ونذكر هنا منها .

اشتراكه مع استاذه الافغاني في المحافل الماسونية ونشاطه فيها وتعاونه مع استاذه في نشر مبادئها .

ويرد على من يدافع عن انتمائه الى الماسونية بمثل ما رددنا به على من يدافع عن الافغاني بل هو في محمد عبده اكثر قوة ووضوحاً لتأخر وفاة الشيخ عبده عن الافغاني وقد كان الشيخ عبده يحتفظ ببعض كتب الماسونية في منزله بخط الافغاني وقد صودرت اثناء سجنه بمصر (انظر الصورة رقم ١٦) .

وقد صدرت منه عبارات كعبارات استاذه الافغاني تفوح منها رائحة تجاهل الاسلام والدعوة الى الفرعونية المصرية فمن ذلك قوله « كنت فيمن دعا الامة المصرية الى معرفة حقها على حاكمها وهي هذه الأمة لم يخطر لها هذا الخاطر على بال من مدة تزيد على عشرين قرناً »[1] قال هذا القول وهو في القرن الرابع عشر الهجري أو العشرين الميلادي وعلى كلا الامرين يكون قفز بقوله الحكم الاسلامي بأكمله ! فمتى عرفت هذه الأمة ذلك اذا لم تكن عرفته في الاسلام ؟!

لا شك ان الدعوة الى القومية الوطنية انما هي ايضاً وليدة الماسونية التي تسعى الى القضاء على الاديان ، ولذلك يلاحظ كل من ينظر في سيرة هذا الرجل مظاهر دعوته الى القومية العربية في سمتين بارزتين :-

الأولى - ان الشيخ محمد عبده هو الذي صاغ برنامج الحزب الوطني المصري وجاء فيه في المادة الخامسة منه « الحزب الوطني حزب سياسي لا ديني فانه مؤلف من رجال مختلفي العقيدة والمذهب ، وجميع النصارى

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ١٢ .

واليهود وكل من يحرث ارض مصر ويتكلم لغتها منضم اليها »[1] .

وفي سنة ١٨٨٨م ثارت في مصر مناقشات صحفية حول تعصب الاقباط في مصر ضد المسلمين فكتب الشيخ محمد عبده مدافعاً عن الاقباط «ليس من اللائق باصحاب الجرائد ان يعمدوا الى احدى الطوائف المتوطنة في أرض واحدة فيشملوها بشيء من الطعن أو ينسبوها الى شائن من العمل تعللا بأن رجلا أو رجالاً منها قد استهدفوا لذلك . . »[2] .

ومن اقواله « ان خير أوجه الوحدة الوطن لامتناع الخلاف والنزاع فيه »[3] وغاب عن ذهنه ان خير أوجه الوحدة الدين .

السمة الثانية : مطالبته باستقلال العرب عن الاتراك :ـ

فقد ارسل لويس صابونجي برقية الى مستر بلنت اوردها الاخير في تأريخه السري لاحتلال انجلترا مصر جاء فيها ان « نديم وعرابي وعبده يتحدون الباب العالي علنا »[4] ويقول بلنت ايضاً في تأريخه هذا « وقد سمعت سامي وعبده ونديما يلعنون السلاطين والامم التركية من عهد جنكيز خان وهولاكو الى عبد الحميد وقد ألف حزب كبير يستعد لاعلان الاستقلال عن تركيا اذا تدخل الاتراك في مصر تدخلاً حربياً . . »[5] وهذا الموقف هو الذي يفسر لنا معنى تلك البرقية التي ارسلها الخديو توفيق الى السلطان العثماني في نوفمبر سنة ١٨٨١م يقول له فيها « ان مصر في حالة ثورة وان هناك اقتراحا لانشاء امبراطورية عربية »[6] .

---

(١) الاعمال الكاملة للامام محمدعبده : جمع وتحقيق محمد عمارة جـ ١ ص ١٠٧ .
(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ١٠٨ .
(٣) تاريخ الاستاذ الامام : محمد رشيد رضا جـ ٢ ص ١٩٤ .
(٤) التاريخ السري لاحتلال انجلترا مصر : للمستر بلنت ص ٢٤٩ .
(٥) المرجع السابق ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦ .
(٦) الاعمال الكاملة للامام محمد عبده : جمع وتحقيق محمد عمارة جـ ١ ص ١١٣ .

وهو مع عداوته للاتراك وللخلافة الاسلامية قد يعلن تأييده للخلافة الاسلامية والدولة العثمانية ولكنه اعلان نفاق وتزلف لأنه انما يعلن هذا حينما يكون في نطاق النفوذ المباشر للسلطان العثماني والسلطة العثمانية فاذا خرج من ذلك عاد الى رأيه القديم في هذه الدولة وهذا السلطان[1] فهو يقول في تأييد الخلافة « واني على ضعفي ـ والحمد لله ـ مسلم العقيدة عثماني المشرب وان كنت عربي اللسان ولا اجد في فرائض الله بعد الايمان بشرعه والعمل على اصوله فرضاً اعظم من احترام مقام الخلافة والاستمساك بعصمته والخضوع لجلالته وشحذ الهمه لنصرته بالفكر والقول والعمل ما استطعت الى ذلك سبيلاً وعندي أني ان لم أقم على هذه الطريق فلا اعتداد عند الله بايماني فانما الخلافة حفاظ الاسلام ودعامة الايمان فخاذلها محاد الله ورسوله ومن حادّ الله ورسوله فاولئك هم الظالمون »[2] .

ومن أثر هذا الاتجاه ايضاً اتجاهه الى انشاء جمعية « سرية » للتقريب بين الاديان ودفاعه القوي عنها وعن اعضائها حتى في وجه الخلافة الاسلامية ، كتب مدافعاً عن اسحاق طيلر قائلاً « ان السر في غضب السلطان عبد الحميد من نشاط القس الانجليزي اسحاق تيلور في الدعوة لتوحيد الاديان وموافقتي وميرزا باقر وعلماء دمشق له ومراسلتنا اياه انه خشي ان يعتنق الانجليز الاسلام ، ثم يطلبوا ان يكونوا اصحاب الدولة في الاسلام وتكون الملكة فيكتوريا ملكة المسلمين . . ويذهب السلطان من السلطان . . وسبحان مدبر العقول »[3] .

فانظر الى أي مدى وصل دفاعه عن قس انجليزي يقول « ان المسلمين قد آمنوا بالمسيح عليه السلام . . فهم عندنا مسيحيون نصلي لهم كل يوم أحد

---

(١) المرجع السابق جـ ١ ص ١١٤ ـ ١١٥ .

(٢) تاريخ الاستاذ الامام : للسيد محمد رشيد رضا جـ ٢ ص ٥٢٢ ـ ٥٢٣ .

(٣) الاعمال الكاملة للامام محمد عبده : جمع وتحقيق محمد عمارة جـ ١ ص ٧٣٥ .

ونسأل الله يهديهم وايامنا الى الحق والى طريق مستقيم »[1] .

ثم انظر الى هذا الاتهام السخيف من محمد عبده الى السلطان عبد الحميد ؟! ولا ندري هل قال الشيخ عبده هذا عن اعتقاد صحيح أو خداع للقارىء .

أما عن نشاطه في هذه الجمعية فقد تقدم بيانه .

ومن اهم المآخذ عليه علاقته المريبة بالانجليز كاستاذه الافغاني فقد كان الامام محمد عبده يبذل لهم النصيحة خالصة ويرشدهم الى ما يوطد دعائم احتلالهم ويحذرهم من الاخطاء التي يكادون ان يقعوا فيها وتضرهم في مصالحهم ، نذكر لذلك مثلا بعزيمة اللورد كرومر على الغاء النيابة العامة واحالة اعمالها الى القضاء ، فحذره محمد عبده بأن هذا خطأ لا يحتمل الصواب وعلل ذلك بأن رجال النيابة من أرقى رجال البلاد علما وعقلاً ولسانا وقلما وستتوجه همة كل من تلغى وظيفته الى الاشتغال بالسياسة فيتعبون البلاد والمسؤولين عن النظام تعباً كبيراً »[2] فأبطل اللورد المشروع فوراً .

بل ويدل على ما قدمه لهم من خدمات دفاعهم عنه والوقوف بجانبه فقد صرح اللورد كرومر بأن الشيخ محمد عبده يظل مفتياً في مصر ما ظلت بريطانيا العظمى محتلة لها »[3] وكان الاحتلال الانجليزي عاملاً اساسياً من عوامل عودة محمد عبده الى مصر وقد صرح اللورد كرومر بذلك في كتابه مصر الحديثة فقال : ان العفو صدر عن محمد عبده بسبب الضغط البريطاني »[4] .

وقدم له الانجليز الحماية في الآستانة حين كثرت الدسائس ضده يقول

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٨٢٦ .
(٢) تاريخ الاستاذ الامام : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٩٢٢ .
(٣) المرجع السابق جـ ١ ص ٥٠١ ، ٥٦٤ .
(٤) الفكر الاسلامي المعاصر : غازي التوبة ص ٤٥ .

تلميذه السيد رشيد رضا « كان المراد من الدسائس . . . ان يحبس الاستاذ الامام أو يهان وهم لا يجهلون ان السفارة البريطانية كانت بالمرصاد وانها لا تسكت للحكومة الحميدية على ذلك لو اقدمت عليه والسلطان ورجاله لا يجهلون هذا ايضاً »[1] . ويكتب الشيخ عبده نفسه الى السيد رشيد قائلاً « ان السلطان لا يستطيع حبسي لو اراده وهو يعلم عجزه عن ذلك حق العلم ولذلك اسباب لا أحبّ ذكرها الآن »[2] .

فأي علاقة تربطه بالانجليز حتى يوفروا له كل هذه الحماية ؟! وأيّ اسباب لا يحب الشيخ محمد عبده ذكرها ؟!

ثم لا ندري كيف تستقيم عقيدة الرجل وقد كلّت ابصارنا من قراءة عبارات له خطيرة يبدو الانحراف ظاهراً في عقيدة قائلها .

فمن ذلك ما ورد في كتابه الذي ارسله من السجن الى احد مريديه » . . ودرات الافلاك دورة العكس ذاهبة بنيراتها الى عوالم غير عالمنا هذا فولى معها آلهة الخير اجمعين وتمخضت السلطة لالهة الشر »[3] .

ولا يصح تخريج تلميذة رشيد لهذا بأنه على الحكاية لخرافات اليونانيين وهو ان كان قال هذا عن اعتقاد فلا شك في كفره ﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴾[4] .

ومن ذلك ما كتبه الى استاذه الافغاني قائلاً :ـ

« ليتني كنت اعلم ماذا اكتب اليك ، وانت تعلم ما في نفسي كما تعلم ما في نفسك ، صنعتنا بيديك وافضت على موادنا صورها الكمالية وانشأتنا في احسن تقويم فيك عرفنا انفسنا وبك عرفناك وبك عرفنا العالم اجمعين

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ ص ٨٦٠ .
(٢) الاعمال الكاملة للامام محمد عبده : محمد عمارة جـ ١ ص ١١٧ .
(٣) تاريخ الاستاذ الامام : رشيد رضا جـ ١ ص ٢٦٧ .
(٤) سورة الصافات الآية : ٤ .

فعلمك بنا كما لا يخفاك علم من طريق الموجب وهو علمك بذاتك وثقتك بقدرتك وارادتك ، فعنك صدرنا واليك اليك المآب .

أوتيت من لدنك حكمة اقلب بها القلوب واعقل العقول ، واتصرف بها في خواطر النفوس ومنحت منك عزمة أتعتع بها الثوابت وأذل بها شوامخ الصعاب واصدع بها حمّ المشاكل واثبت بها في الحق للحق حتى يرضى الحق ، وكنت اظن قدرتي بقدرتك غير محدودة ومكنتي لا مبتوتة ولا مقدورة فاذا أنا من الايام كل يوم في شأن جديد » ويقول « فصورتك الظاهرة تجلت في قوتي الخيالية وامتد سلطانها على حسي المشترك وهي رسم الشهامة وشبح الحكمة وهيكل الكمال فاليها ردت جميع محسوساتي وفيها فنيت مجامع مشهوداتي وروح حكمتك التي احييت بها مواتنا وأنرت بها عقولنا ولطفت بها نفوسنا بل التي بطنت بها فينافظهرت في اشخاصنا فكنا اعدادك وانت الواحد وغيبك وانت الشاهد ورسمك الفوتوغرافي الذي أقمته في قبلة صلاتي رقيباً على ما اقدم من اعمالي ومسيطراً عليّ في احوالي وما تحركت حركة ولا تكلمت كلمة ولا مضيت الى غاية ولا انثنيت عن نهاية حتى تطابق في عملي احكام ارواحك وهي ثلاثة فمضيت على حكمها سعياً في الخير واعلاءً لكلمة الحق وتأييداً لشوكة الحكمة وسلطان الفضيلة ولست في ذلك إلا آلةً لتنفيذ الرأي المثلث ومالي من ذاتي ارادة حتى ينقلب مربعاً غير ان قواي العالية تخلت عني في مكاتبتي اليك وخلت بيني وبين نفسي التزاماً لحكم ان المعلول لا يعود على علته بالتأثير على أن ما يكون الى المولى من رقائم عبده ليس الا نوعا من التضرع والابتهال لا احسب فيه ما يكشف خفاء أو يزيد جلاء ومع ذلك فاني لا اتوسل اليك في العفو عما تجده من قلق العبارة وما تراه مما يخالف سنن البلاغة بشفيع أقوى من عجز العقل عن احداق نظره اليك واطراق الفكر خشية منك بين يديك ، وأي شفيع أقوى من رحمتك بالضعفاء وحنوك لمغلوبي حياء » ويقول : ـ « فقد قضت حكمتك القائمة منا مقام الالهام في قلوب الصديقين » ويقول ايضاً « أما ما يتعلق بنا فاني على بينة من أمر مولاي وان كان في قوة بيانه ما يشكك الملائكة في

معبودهم والانبياء في وحيهم ولكن ليس في استطاعته ان يشك نفسه في نفسه ولا ان يقنع عقله الا على بالمحالات وان كان في طوعه ان يقنع بها من اراد من الشرقيين والغربيين (انظر الصور ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦) .

هذا بعض ما ورد في خطاب محمد عبده الى استاذه الافغاني بتاريخ ٥ جمادى الأولى سنة ١٣٠٠ هـ وهي عبارات ولا شك خطيرة توجب اعادة النظر في عقيدة الرجل عند من لا تخدعه الاسماء وقد استغرب السيد رشيد رضا نفسه هذه الرسالة من استاذه حيث قال عند سياقه لها : ـ

« ومن كتاب له الى السيد جمال الدين عقب النفي من مصر الى بيروت وهو اغرب كتبه بل هو الشاذ فيما يصف به استاذه السيد مما يشبه كلام صوفية الحقائق والقائلين بوحدة الوجود التي كان ينكرها عليهم بالمعنى المشهور عنهم ، وفيه من الاغراق والغلو في السيد ما يستغرب صدوره عنه وان كان من قبيل الشعريّات وكذا ما يصف به نفسه بالتبع لاستاذه من الدعوى التي لم تعهد منه البتة »[1] ثم ساق نص الخطاب ، ولم يلتزم السيد رشيد رضا الدقة كلها في نقل الرسالة فنراه يحذف بعض العبارات الخطيرة ويضع نقطاً واحياناً لا يضع حتى النقط ويحاول حيناً ان يلطف من شدة انحراف بعض العبارات بتأويلات متكلفة ، أما حذفه بعض العبارات فلعله وضع لنفسه مبرراً لذلك فقال في تقديم الخطاب « ومن كتاب له الى السيد جمال الدين » .

هذه عبارات ولا شك خطيرة ولكن ما هو اخطر واشد ضلالا ما ورد في خطاب آخر منه الى السيد الافغاني بتاريخ ٨ شعبان سنة ١٣٠٠ هـ واني لأدعو القارىء ان يمعن النظر في كل حرف انقله من الرسالة : « أما الآن وقد حسبني الجناب العالي نتيجة لاعماله فاني اصدع بافكاري قواعد الملكوت وازعزع بهمتي اركان سطوة الجبروت وادعو الى الحق دعوة الحكيم . . « ثم يقول » بلغنا قبل وصول كتابكم الكريم ما نشر في « الدبا » من دفاعكم

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام : للسيد محمد رشيد رضا جـ ٢ ص ٥٩٩ .

مولای المعظم صعظه الله وایه مقاصده

لیتنی کنت اعلم ما اکتب الیک وانت تعلم ما فی نفسی کما تعلم ما فی نفسک صنعتنا بیدیک وافضت علی سوادنا صورها الکمالیة وانشأتنا فی احسن تقویم فبک عرفنا انفسنا وبک عرفناک وبک عرفنا العالم اجمعین فعلمک بنا کعلمک بنا کما انه یحاکی علم من طریق الموجب وهو علمک بذاتک وتعلقک بقدرتک وارادتک فعلمک صدرنا والیک الیک المآب

اوتیت من لدنک حکمة اقلب بها القلوب واعقل العقول واتصرف بها فی جواطر النفوس ومنحت منک عزمة اتتبع بها الثوابت واذل بها سوامخ الصعاب واصدع بها صم الشاکل وثبتنی بها فی الحق للحق حتی یرضی الحق وکنت اظن قدرتک بقدرتک غیر محدودة وملکتی لامتناهیة ولن تقدر قادرا انا من الایام کل یوم فی شأن جدید تناولت القلم لاقدم الیک من روحی ما انت به اعلم فلم اجد من نفسی سوی الافتقار وتقطعت حبل الکبد المرتفعة والغرائض المرتعدة والفکر الذاهب والعقل الغائب فانک یا مولای مقتضی نوع القدرة ودلالة علی قوة سلطانک مصدرة فی الوراد فاستثنیت منه ما یتعلق به بالعطاب معک وتقدم الی مقامک الجلیل هذا مع العلم انی منک فی ثلاث ارواح لو حلت احداها فی العالم بأسره وکان جماد الحال انسانا کاملا فصورتک الظاهرة تحلت فی قوی خیالیة واتقد سلطانها علی حس المشترک وعلی رسم کشرهامة وشبح الحکمة وهیکل الکمال فاذا بها زرت جمیع محسوساتی وبها فتیت مجامع مشهوداتی وروح حکمتک التی اضیئت بها مواتنا وانرت بها عقولنا ولطفت بها نفوسنا بل التی تجلیت بها فینا مظاهرة فی اشخاصنا لکنا اعدادک وانت الواحد وغیبک وانت الشاهد ورسمک الغیر فی الذی اقمته فی قبلة صلاتی رقیبا علی ما اقدم من اعمالی ومسیطرا علی فی احوالی وما حرکت حرکة ولا تکلمت کلمة ولا تصرفت الی غایة ولا انتهیت عن نهایة حتی تطابق فی عملی احکام ارادتک وعلی ذلک نصبت علی حکمک سعیا فی خبر واعلا لکلمة الحق وتایید الشوکة الحکمة وسلطان الفضیلة ولست فی ذلک الا آلة لتنفیذ مرای المثلث ومجلی من سوانی ارادة حتی یتقلب مربعا

عبد أن قوای کمالیة تحلت عنی فی ملکی تبنی الیک وظنت بینی وبین نفسی التزاما لحکم ان المعلول لایعود علی علته بالتاثیر علی أن ما یکون الی المولی من رقائم عبده لیس الا نوعا من التضرع و ان یتهال له احب فیه ما یکشف غطاء او یزید جلاء ومع ذلک فانی له اتوسل الیک فی السعی عما تحمد من قلق العبارة وعاثرة ما یخالف سنن البلاغة بشفیع اقوی من عجز العقل عن احداق نظره الیک واطراق الفکر حشیة منک بین یدیک وای شفیع اقوی من رحمتک بالضعفاء وحنوک للمغلوبین

ای لا أحدثک یا مولای عن شئ مما اصابنا بعد فراقک فقد تکفل ببیانه افی صکم ابراهیم اقتدی الثقافی سوی بعض ما ترکه فی کتابه من انقلاب بعض القلوب من خاصتک وکول احوالهم بعد نزول ما نزل بک فقد تقلب اعوان کثیر وانصار کثیر عقب جلائک بقوة جاهم وشدة باسهم فاعمد العقول علی الله عتقاد بالمال والجاه وها للتصدیق بما له یقال حتی ازهم عبید واقلب دولتلور یاض باش علیک وعلی تلة مذنک الصارقین ایاما معدودة رکن ذیها الی الحمل بالشدة والله خذ بیارزة لحدة ولم یلبث ان وصلت الیه بعد ما کانوا هجموا علی فی بلدی وخطروا علی الدخول فی المدن نحو اربعة اشهر فنی اول الثقافی بریاض باش جلوش علیه الامر وکشفت له من حقیقة ما خفی حتی زال ما لبس المبطلون و بطل کیدهم وما کانوا یعلمون وزلفنا عنده منزلة حسدنی علیها الکافة من العلماء والله مرآ ورجال الحکومة بل وکثیر من کان یدعی الله تمار الحضرة مولانا المعظم وحدثت من کل بر مصعد النفس فلا ینطق الا بما یرید حلتک ولو سبیل الله ما تمار ادتک فلکانک وحقک کنت دانت فی الهند بین اظهر الحربین ساعیا فیهم الا تقاصدک العالیة طالبا بهم اوج السعادة وذروة المجد والفخار

وهذا حمت الی کل من کان ینتسب الیک صادقا فی ان تسیاب اوفاز با تحیا للطف وایثار الجانب العفو والکرم لهذا الثانی لم اتاخر عن مساعدة او کنت ان شقیا الله دنیا او بئس اسعد وسلیم الفاتک وسعید البوستانی والبلیاوی ومن یکلهم من الشام فاصلحت لهم القلوب ونسخت لهم من الصدور وفتحت علیهم ابواب التقدم الی المنافع الوفیرة الکلام لم یرجع اعهدا ولم یحفظ عهدا وله حاجة فی الآن الی ایضاح ما صدر منهم خیانة ولؤما فانا مولای اعلم بسعی الشوم وجمیعهم من اصطبل واحد واقعت بحبک من حرم الشرف بلقائک فبینک لیس بالقلیل یعلمون قدرک ویعرفون لک فضلک

صوره رقم (١٤)

وكنا واخواننا من المكانة في قلوب الناس كما شرح لك ايام افتك ولكنا هذا لم ينهنا عن طلب
ان نتقام لك والله قد تبارك من كوعد اللئيم وكقدر العظيم وكدت اصل الى الكعبة كما قصدت
من طريق مألوفة ومذهب معروف وغير موصوف لولا غلبتنا على الامر قطاع طريق خيبر الذين ينابذ
الوثبة الساكنين مناجح جبارين الله قطين لغاطان العلماء المتبطنين طباع الجاهلين انتحلوا طريقتنا
في الدعوة الى الحرية وتكلفوا بتقوية كيدنا وضعضعا لكونه منا فتباع الجماعة بكورهم وحماة الحق وحماة الفاروق
وهم رسل مفوض وجرذان النظام وكانوا في بداية امرهم اشد الناس تعصبا عليك وعلى ملتك
واشدهم في التعصب اولئك الهنذال الذين قد مناذكرهم عند مارأوا ابعض رجال الحكومة يميل الى اهوائهم
ويكيدهم في بعض غيرهم غير انا مدتهم في الفساد كانت قصيرة ولم يمض الا قليل حتى محضنا من قلوبهم
وحلونا من بصائرهم فكادوا يبصرون ضياء الحق لولا ان احاطت بهم ظلمات الغرور والكبر ومع
هذا فكنا نستلهم الخير لهم ونتدبر امرهم كما كانت لغاية حاجتنا فيهم ان كانوا ان استطاعة الى ان
غلبت عناصر الفساد وعم الضلال فطلبنا بأولئك الذين ان تخلص البلاد من الاشرار و
ينقذ العباد من طول العناء ورجونا تأييدهم على ذلك من سكان الرصافة والسماوة وكنا ندرك
به خللا فاحشا وانتقاما شريفا لكن السوء البخت كان احد عراب على ما وصف الصابي ابا
تغلب ابن حمدان عندما قاله عز الدولة ابن معز الدولة وحزمه حيث قال فيه انه لم يلق
لنا الا الطيع بالطاعة المقتدر من سالمنا حتى تفريط ولم ضاعة ولم نلقاه المصدق في دعواه
في ان يستقبل بالمعارضة المحقق نزعه في الثبات للمدافعة ولكنا في هذين الامرين بالبرئ
ولم نلق الا جرعدوى بل جمع بين نقيصة شقاقه وغدره وفضيحة جبنه وخوره فذهب عند
الرشاد وضربت بينه وبينه السداد واز يد على ذلك مع توفر اسباب وتفتح ابواب
وظهور الامر للصبيان واجابة دعوات الصبيان واجتماع جميع القلوب عليه ونزوع كل هواء
على اختلاف فرقه اليه فكان ما كان من العاقبة اكسوء ولسنا بصدد ذكر تلك الحوادث بنا طويل
اذا اردت يا مولاي لنا قدم لك بتاريخها مختصرا بأيجاز مفيدا فانا رهن اشارة
وكنا اقمنا في مدينة بيروت نقضي بها مدة ثلاث سنوات على ما حكم به الشقي الغبي الاذنب جنيناه
ولا جرم اقترفناه فقد قضت حكمتك القاهرة منا مقام الالهام في قلوب الصديقين ان نثار الحق
ونتاجه الباهرة ونصيب الفرص ولنا الجرأة الظاهرة والدربة الطاهرة وانا ذلك اثر حمد كقديم
ونتيجة فوز عظيم ولله يا مولاي لو جعلنا له من جلودنا ثيابا وصنعنا له من لحومنا كبابا و
صببنا له من دمائنا شرابا لما كنا ننا من غدرته عند قدرته فانه الله فها نحن سالكون في شكك
وعلى سننك وكنا كذلك ولا نزال الى انقضاء الآجال ولولا ما طفال رضع ونساء لنا طوع
ابنبالهم كذل واثقالهم الضيم فانتنا لهم بعنا الحيث اقمنا لكنت اول من تلقاك في مدينة
بارييس لكن بعد بلوغ غايتك والفوز بذلك على اعدائك

صورة رقم (١٥)

صورة رقم (١٦)

عن الدين الاسلامي (يا لها من مدافعة) ردا على مسيو رينان فظنناها من المداعبات الدينية تحل عند المؤمنين محل القبول فحثنا بعض الدينيين على ترجمتها لكن حمدنا الله تعالى اذ لم يتيسر له وجود اعداد « الدبا » حتى ورد كتابكم واطلعنا على العددين ترجمهما لنا حضرة الفاضل حسن افندي بيّهم فصرفنا ذهن صاحبنا الأول عن ترجمتها[1] وتوسلنا في ذلك بأن وعدناه ان

---

(١) نقل الاستاذ محمد حميد الله في مجلة الفكر الاسلامي ـ بيروت ـ السنة الثانية العدد الثاني في مقال « صلات ارنست رينان مع جمال الدين الافغاني » نقل بعض العبارات التي جاءت في دفاع الافغاني ومن الطريف ان الاستاذ حميد الله استغرب صدور هذه النصوص من جمال الدين واستبعد ذلك ، ولو انه قرأ خطاب محمد عبده ـ هذا ـ الى الافغاني وحرصه على عدم ترجمة هذا الدفاع من الافغاني لادرك صحة نسبته للافغاني .
أما النصوص فمنها : ـ « عند قراءة المحاضرة (يعني محاضرة رينان التي يرد عليها الافغاني) لا يقدر الانسان على منع نفسه من التساؤل : ـ انّ اصل تلك العوائق هل هو من دين المسلمين أو من خصائص الملل التي أكرهت بالسيف على قبول ذلك الدين » .
ومنها « وفي الحقيقة ان الدين الاسلامي حاول خنق العلم وسدّ جميع التطور ولذلك نجح في سدّ الحركات الفكرية والفلسفية وطرد الاذهان عن طلب الحقيقة العلمية » .
ومنها « كان هذا صحيحاً ان دين المسلمين يعوق من تطور العلم فهل يقدر احد على ان يدعي عن هذه الطائفة سوف لا تزول يوماً ؟ ففيم يختلف دين المسلمين في هذا من سائر الاديان ؟ ان جميع الاديان لا سماحة عندها ابداً ، كل واحد حسب شاكلته ان المجتمع النصراني الذي تحرر واستقل الآن يتقدم بادي الرأي سريعاً في سبيل التقدم والعلوم بينما المجتمع الاسلامي لم يتحرر الى الآن من تسلط الدين » .
ومنها « لا شك عندما سار الاسلام في البلاد التي تملكها باستعمال الجبر والقهر ما هو معروف نقل اليها لغته وعاداته ومعتقداته وهذه البلاد لم تستطع الى الآن من الخلاص من مخالبه » .
ومنها « . . ولماذا لم يزل العالم العربي مغطى بالظلمات العميقة ؟ في هذه الناحية تظهر مسؤولية الدين الاسلامي كاملة . ومن الظاهر ان هذا الدين حيثما حل حاول خنق العلوم » .
هذا بعض ما جاء في رد الافغاني ولذلك فلا عجب ان يكتب رينان في اليوم التالي معقباً على ردّ الافغاني « انه متفق مع جمال الدين تمام الاتفاق فيما ذكره في رده عليه » .
هذه النصوص نقلها الاستاذ محمد حميد الله من جريدة « جورنال ديه ديبا » الفرنسية المؤرخة في ١٨ مايو ١٨٨٣ .

الاصل العربي سيحضر فان حضر نشر ولا لزوم للترجمة فاندفع المكروه والحمد لله » .

ثم قال في عبارة أشد انحرافاً وادعى الى تقييم عقيدته « نحن الآن على سنتك القويمة لا تقطع رأس الدين الا بسيف الدين ولهذا لو رأيتنا لرأيت زهاداً عباداً ركعا سجداً لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ما اضيق العيش لولا فسحة الأمل (أنظر الصورة رقم ١٧ ، ١٨ ، ١٩) .

عجباً !! نحن الآن على سنتك القويمة : ـ لا تقطع رأس الدين إلا بسيف الدين ـ ولهذا لو رأيتنا لرأيت زهاداً عباداً . . ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل ؟!

هل هي دعوة باطنية يخفيها الرجلان ويسعيان تحت ستارة الدين و « بسيف الدين » لقطع « رأس الدين » ؟! وقيامهم بالصلاة أمام الناس هل هو سعي الى القبض على سيف الدين ؟! ثم تركهم للصلاة بعض الاحيان هل هو تنفيس « لضيق العيش » وعودتهم اليها حينا لاجل « فسحة الأمل » .

عاتب الشيخ يوسف النبهاني السيد رشيد رضا على صحبته لمحمد عبده وتسميته له بالاستاذ الامام مع تركه للحج ولفروض الصلاة ولاشتراكه في الماسونية فقال نظماً :ـ

وذاكرته في شيخه وهو عبده ... تملكه للشيطان عن قومه قسرا
فقلت له لو كابن سينا زعمتم ... وعالم فاراب وأرفعهم قدرا
لقلنا لكم حقا وان كان باطلاً ... ولم نر من هذا على ديننا ضرا
ولكنكم مع تركه الحج مرة[1] ... وحج لباريز ولندره عشرا
ومع تركه فرض الصلاة ولم يكن ... يسر بذا بل كان يتركها جهرا

(١) اعترف السيد رشيد بهذا وزعم ان المانع هو الخوف من اساءة السلطان عبد الحميد له ! ونقول ان الشيخ محمد عبده كان قادراً على الحج قبل سوء العلاقة بينه وبين السلطان هذا لو سلمنا ان سوء العلاقة كان مانعاً حقيقيا !! ومن تمكن من زيارة الآستانة نفسها في عهد السلطان عبد الحميد أفلا يستطيع أن يحج الى مكة المكرمة ؟!

مولاى المعظم ايده الله

اليوم عرفت نفسى وكنت ها سبق العلم اراى ما سبقت الى آدب فى من الكرامة بين الناس انما هو من احكام البخت واله تعالى وعزوجل من التدبير سبحتى الى خدمة المولى الجليل وكنت اتيه على جميع العالمين بتلك الكتبة وهى عنوان الفضل والكمال مكتفيا بمرسومها فى نفسى ومقررها فى ان ذلك اقول دعوا الناس يخ عملك تهم يرزق الله بعضهم من بعض اما انا فحسبى المهاب العالى نتيجة لاعمالى فانى اصدع باوامرى قواعد الملكوت وازرع بهمتى اركان العلوة الجبروت وادعو الى الحق دعوة فلكيم واذهب باهل الكرامة مذهب الاب الرحيم خدمة لمقامه مولاى وان يوم السعادة عندى ان يظهر لهذه الخدمة اثرا وينشر عرفها خبرا اما انى كسيد لعبده عن حق المعروف فى الحقوق التى اوجبها القرابة المركبة فمن حيث صدوره عنه اوجب تتخيره بما يليق بخيره وكرمه ولكن من حيث توجهه الى مخادم الدين فهو من قبيل نهى الحق عن ان يكون باطلا والنور عن ان يكون ظلاما والكمال عن ان يكون نقصا بل نهى الاولى ان يكون حقا وانا سبحان الله يا اسهل ان تشكله واسيرا مدين به حتى يبلغ الكتاب اجله بلغنا قبل وصول كتابكم الكريم ما نشر فى الدباس دفاعكم عن الدين ان سلامى لها من مدافعة ردا على موسيو رنات فظننا هامن الدعايات الدينية محل عند المومنين محل القبول فحسبنا بعض الدينين على ترجمها لكن احمدنا الله تعالى اذ لم نتيسر له وجود اعداء الدباس ورد كتابكم واطلعنا على العدد الذى ترجمها لنا حضرة الفاضل حسن افندى بتيم فصرفنا ذهن صاحبنا الى ان ل عما ترجمه وتوسلنا فى ذلك بان وعدناه ان الله حل الوبى سيحضر فان حضر نشر وله لزوم للترجمة فاندفع المكروه والحمد لله ثم انه تعالى على تتمك العوبة : له تقطع راس الدين

صوره رقم (١٧)

الله بين الدين وله الورا ينا الزهارا عبادا ركما سجدا لله يبتغون فضلا من ربهم ويقولون
ما جرت ما اصبت الصبر لو له فسحة الامل اسفت ولكدرت محاربته في كتابكم الى
والا ابن تراب من اللوم كثيرا على ابراهيم افندي وعلمت ان ذلك من سوء تبليغ ابن تراب علما بانكم
افندي ليس بدعا للتهمة بما يشير كيه المولى في كتابه واني احلف بحرمة سيدي انه ما صدر مني امر يشينه
او يخل بحقوق مولاه فان انتقاله من البيت الذي كان فيه لكن الله بعد ان ظهر الرحلة في عينيه وحشي
عليها من كرمه ونعمه لطبيب بانه تنقال فاش رغلي فاستحسنت ذلك على شريطة ان ينتقل معه ابن
تراب فاستدعا ابا تراب له تنقال ما بين متعللا بأن اهل البيت يجدونه وليس في البيت الجديد من
يخدمه فسهل عليه الامر فابن وحمم على التعاد ولكن تعلله صحيحا في حقيقة سوانا العلة الحقيقية هو ما
عهدوه فيه من الحساسات الحيوانية اما السيد ابراهيم فقد قام بخدمة ابن تراب احسن قيام في ايام اقامته
في شدة البرد وكثرة الثلوج وحال المنازل حكاه وسعاهد ان طباه مرارا عديدة قبل حضور مصطفى بيك
وكان يعجبه كما خ صديقا يتكلم به ويعامله معاملة الند وبين من جميع الوجوه وما يعرف عند الكل ان
ربا بين نقطا وبعض دراهم قليلة في الاودية ودراهم وبعد حضور مصطفى بيك كان الملاح مجانا
بدون اجره وبعض عليه زيت الرصاوغ جميعا ستهد في اغلب الاوقات وابراهيم افندي
بعد استقاله كما بايتكيه من قبل شروق الشمس الى ساعة الرابعة من الليل ولا يتركه الا
وقت النوم وكانت ثياب ابراهيم وكتبه وجميع لوازمه في اودة ابن تراب ولم يكن في اودته
ابن فرش النوم لا غير ثم ان ابا تراب سعاني جميع الاوقات ان ما قل وانا نقده كوالد
سا سرلته مرتبتنا ان مسه نقطة حسبما هو في اعراضنا اما ما ذكرته في شان ابن افندي
وامركه ابا تراب بالتردد عليه فليس فيه حقه تحتي عما تقولنا ورايكم اعلى وارفع على ان اري في انها
عليه ضرر النفس ابن تراب من حيث تغلب شهوته الحيوانية على قوته العقلية فالاولى به ان يكون بعيدا
عن مثار الشهوات ، وزارني كدرا ان ابا تراب عند ما ذهب ليبلغ اويا ساله كم اطلعه على المكتوب
فاجابه ما ذكرتم في شان ابراهيم افندي وكان كدر ابراهيم على هذه اشد من كدره على سوء مبلغ منه
ولو ابن تراب عجولا في اخباره ما يخل من طيش الشريفين فالاولى ان لا تعتنوا بما يكتب لكم
مما يتعلق بشان اتباعكم فقد يغضبه ما لا يغضب ويرضيه ما لا يرضي وليس بين غضبه
ورضاه الا ما بين حكمه وبكاه وهو ما بين لمحات البصر ليس عجيبا انا ما نقده اليكم ضمن

صوره رقم (١٨)

صورة رقم (١٩)

ومع كونه شيخ المسون مجاهراً بذلك ، لا يخفى اخـوّتهم سرا
ومع غير هذا من ضلالاته التي بها سار مثل السهم للجهة الأخرى
تقـولـون استـاذ امـام لـديننـا فما أكذب الدعوى وما اقبح الأمرا
ونحن نـراه عنـدنـا شـر فـاسق فيقتل فسقاً بالشريعة أو كفرا[1]

اما عن الشيخ الافغاني فيقول الشيخ يوسف النبهاني « انه اجتمع به سنة ١٢٩٧ هـ في مصرحين كان مجاوراً بالازهر ولازمه من قبل الغروب الى قرب العشاء فلم يصل المغرب »[2] .

ومن اقوال الشيخ محمد عبده التي نؤاخذه عليها وصفه للازهر بالاسطبل والمارستان والمخروب[3] وقوله لتلميذه رشيد « ان من تطول مدة طلبه للعلم في الازهر وامثاله فانه يفقد الاستعداد للعلم »[4] .

وفي الحقيقة ان الباحث المدقق في مسار الفكر الاسلامي في تلك الآونة وما تلاها يجد الشيخ محمد عبده خلف كثير من الدعوات الهدامة والمبادىء المنحرفة لا اقول هذا تعصباً ضد الرجل فما تقولت عليه قولاً وما نسبت اليه نصاً الا عن مصدر موثوق وطريق مأمون .

نشر محمد احمد خلف الله كتابه « الفن القصصي في القرآن الكريم » زعم فيه ان ورود الخبر في القرآن لا يقتضي وقوعه وانه يذكر اشياء وهي لم تقع ويخشى على القرآن (!!) من مقارنة اخباره بحقائق التاريخ وقال « انا لا نتحرج من القول بأن القرآن اساطير »[5] . وعندما رفضت جامعة فؤاد هذه الرسالة دافع عنها أمين الخولي المشرف على الرسالة قائلاً « انها ترفض اليوم

---

(١) الرائية الصغرى في ذم البدعة ومدح السنة الغراء : ضمن كتاب العقود اللؤلؤية في المدائح النبوية : وكلاهما للشيخ يوسف النبهاني ص ٣٨٣ .
(٢) المرجع السابق ص ٣٧٢ .
(٣) تاريخ الاستاذ الامام : جـ ١ ص ٤٩٥ .
(٤) المرجع السابق جـ ١ ص ١٨١ .
(٥) الفن القصصي في القرآن الكريم : محمد احمد خلف الله ص ١٨٠ .

ما كان يقرره الشيخ محمد عبده بين جدران الازهر منذ اثنين واربعين عاماً »[1] .

ونشر قاسم امين كتابه تحرير المرأة وفيه دعوة الى نبذ الحجاب واطراحه والى خروج المرأة الى العمل في كل المجالات ودراسة كل العلوم وزعموا ان هذا تحرير المرأة وهو في الحقيقة تخريب للمرأة وتحرير لها من الكرامة التي صانها لها الإسلام .

وقصة الكتاب تبدأ حينما نشر أحد الكتاب الفرنسيين مقالا هاجم فيه حجاب المرأة المصرية فكتب قاسم امين دفاعاً عن الحجاب اغضب اللورد كرومر الذي جاء الى مصر كما قال ليمحو ثلاثاً القرآن والكعبة والازهر[2] فأمر بوضع كتاب « تحرير المرأة » وقيل ان الذي أمر بوضعه الاميرة نازلي حفيدة ابراهيم باشا لأنها غضبت من دفاع قاسم امين عن الحجاب « والذين نسبوا الامر الى اللورد كرومر والذين نسبوه الى « نازلي » يتفقون ان الأمرقد صدر الى الشيخ محمد عبده ، وانه قد قام بدور كبير في تأليف الكتاب . . بل يرى بعضهم انه هو الذي ألفّه ، ثم وضع على غلافه اسم قاسم امين تجنباً للحرج والعاصفة التي كانت ستهب عليه مباشرة اذا ما وضع اسمه عليه ، وهو الشيخ الازهري ذو المناصب الدينية الكبرى ، ومنها منصب مفتي الديار المصرية »[3] .

ولذلك فلا عجب ان يقول الاستاذ محمد عمارة الذي جمع مؤلفات ومقالات محمد عبده في كتاب « الاعمال الكاملة للامام محمد عبده » في ستة مجلدات بعد تحقيق دقيق لنسبتها الى محمد عبده لا عجب ان يقول

---

(١) الفن القصصي في القرآن الكريم محمد احمد خلف الله : تقديم أمين الخولي ص ح .

(٢) الخنجر المسموم الذي طعن به المسلمون : انور الجندي ص ٢٩ .

(٣) الاعمال الكاملة للامام محمد عبده : جمع وتحقيق محمد عمارة جـ ١ ص ٢٤٧ - ٢٤٨

« والرأي الذي أؤمن به والذي نبع من الدراسة لهذه القضية هو ان هذا الكتاب انما جاء ثمرة لعمل مشترك بين كل من الشيخ محمد عبده وقاسم امين . . وان في هذا الكتاب[1] عدة فصول قد كتبها الاستاذ الامام وحده ، وعدة فصول أخرى كتبها قاسم أمين ثم صاغ الاستاذ الامام الكتاب صياغته النهائية ، بحيث جاء اسلوبه على نمط واحد هو أقرب الى اسلوب محمد عبده منه الى اسلوب قاسم أمين »[2] ثم ذكر بعد هذا مجموعة كبيرة من الادلة على ذلك قدم بين يديها عددا من القرائن .

منها موقف الاستاذ الامام من الكتاب بعد صدوره فلقد أيّده ودافع عنه بطريقة غير مباشرة وامتنع عن التعليق عليه أو المشاركة بشكل مباشر في المعارك التي دارت من حوله وبالذات عندما اراد خصومه احراجه وطلبوا منه أن يفتي ـ بحكم منصبه الرسمي ـ في الموضوع .

أما دفاعه غير المباشر فيتمثل في وقوف الشيخ رشيد رضا ومجلة المنار الى جانب الكتاب فلقد تناولت المنار الكتاب بالمدح والتقريظ في اكثر من مرة واعتبرته مع رسالة التوحيد للاستاذ الامام و(سر تقدم الانجليز السكسونيين) الذي ترجمه فتحي زغلول اهم الاعمال الفكرية في ذلك العصر « المنار ١ يوليو ١٨٩٩م » كما تناولته بالثناء في عددي ١٥ يوليو ٢٦ اغسطس من العام نفسه »[3] .

ووصف السيد رشيد رضا قاسم امين بأنه العالم البارع في علوم الاخلاق والاجتماع[4] .

وحينما اراد خصوم الشيخ احراجه طبعوا سؤالاً موجهاً اليه هو : « هل

---

(١) يعني كتاب « تحرير المرأة » المنسوب لقاسم أمين .

(٢) الاعمال الكاملة للامام محمد عبده : جمع وتحقيق محمد عمارة جـ ١ ص ٢٥٢ .

(٣) المرجع السابق جـ ١ ص ٢٥٥ .

(٤) تاريخ الاستاذ الامام : للسيد محمد رشيد رضا جـ ١ ص ١٠٥١ .

رفع الحجاب عن المرأة واطلاقها في سبيل حريتها بالطريقة التي يريدها صاحب كتاب المرأة الجديدة يسمح به الشرع الشريف أم لا ؟ »ووزعوا هذا السؤال على الجمهور في صورة كتاب مفتوح الى المفتي محمد عبده . عندما فعلوا هذا لزم الشيخ محمد عبده الصمت ودافعت المنار عن هذا الصمت قائله :

١ ـ ان الاستفتاء جاء على خلاف المعهود بأن وزع على الجمهور .

٢ ـ ان الجواب عليه يستلزم قراءة الكتاب في حين ان المفتي مثقل بالاعمال (!!)

٣ ـ ان من اطلع على الفتوى يحتاج الى ان يقرأ الكتاب أولاً فاذا كان ضاراً تكون الفتوى سبباً في اذاعة الضرر (! !) .

٤ ـ ان فتوى الامام ستكون على المذهب الحنفي الذي عينته الحكومة ليفتي على اساسه في حين ان بعض المذاهب قد اباحت كشف المرأة لوجهها ويديها[١] .

أما الفصول التي اثبت الاستاذ محمد عمارة انها للشيخ محمد عبده فهي « الحجاب الشرعي » و « الزواج » و « تعدد الزوجات » و « الطلاق » ثم قال عنها « انما هي فكر خالص وصياغة خالصة للاستاذ الامام »[٢] وأقول ان هذه الفصول هي اهم ما في الكتاب .

ومن هنا ندرك ان الشيخ محمد عبده يقف خلف هذه الدعوة ولذلك نرى الشيخ مصطفى صبري يكتب تحت عنوان « الاستاذ الامام وكتاب الله في كفتي الميزان » فيقول : ـ « واني أرى الرسالة المستنكرة ـ يعني رسالة الفن القصصي في القرآن الكريم ـ وما سبقها في مصر من الاحداث والفتن

---

(١) مجلة المنار المجلد ٤ جـ ١ ص ٣٣ ـ ٣٤ في غرة ذي القعدة ١٣١٨ هـ .

(٢) الاعمال الكاملة للامام محمد عبده : جمع وتحقيق محمد عمارة جـ ١ ص ٢٥٨ .

المماثلة الماسة بدين الاسلام وعقائده المحفوظة إلى عصر الشيخ محمد عبده كلها ناشئة من الاسس التي ابتدعها هذا الشيخ الملقب بالاستاذ الامام . . فلا مناص اذن للقضاء على تيار الفتنة من مصدرها من ان تفصل الدعوى مع الامام دون المؤتمين »[1] .

وبعد

فلعلي اقف هنا عن الحديث عن المآخذ على الشيخ محمد عبده . .

أما من كانت الحقيقة هدفه فلا شك انه واجد فيما ذكرت ما يجلوها له .

وأما من أعرض عن طلبها ووضع في ذهنه اصناماً وتماثيل لاشخاص بلغوا من القداسة حدّا لا يقبل معه كلمة في حقهم ، يعلو صوته ويحتدّ صراخه ان سمع نقداً لاحدهم في وقت لا يهيج فيه ولا يتمعّر وجهه حين يسمع السب والشتم فضلا عن التجريح لابي هريرة رضي الله عنه أو وهب بن منبه أو كعب الاحبار رضي الله عنهما من محمود ابو ريه وغيره من اتباع الافغاني ومحمد عبده .

ان مثل هذا لا نأبه له في حديثنا هنا ولم نكتب هذا لاقناعه لانه وامثاله ليس في مستطاعنا ولا مستطاع غيرنا اقناعهم الى ان يهديهم الله الى الحق والى سبيل الرشاد وحينذاك فليقرأوا حديثنا مرة أخرى .

ومن وجد فيما كتبنا فهما خاطئاً أو تأويلاً باطلاً فليرشدنا الى الحق وله منا الدعاء الحسن فما كتبنا الا للحقيقة وما طلبنا الا اياها فهي ضالتنا وهي مرادنا فيما نكتب وفيما نقول والله الهادي الى سواء السبيل .

---

(١) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين : مصطفى صبري جـ ١ ص ٣٤٦ .

ثالثاً : محمد رشيد رضا

يعتبر السيد الافغاني الرجل الذي انقدحت عن فكره نظرية وجوب اصلاح المجتمع الاسلامي[1] ويعتبر تلميذه محمد عبده الرجل الذي بدأ في تطبيق منهج هذه المدرسة على منهج الاسلام اعني القرآن الكريم ويعتبر تلميذه محمد رشيد رضا الرجل الذي قام بتسجيل نشاط هذه المدرسة وبثه في العالم الاسلامي عبر صحيفته « المنار » ومواصلة ما بدأته من آراء .

فهؤلاء الثلاثة يعتبرون ـ بحق ـ دعائم هذه المدرسة بقيامها على اكتافهم ورفعهم لاعلامها .

اسمه ونسبه :

هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن السيد بهاء الدين بن السيد منلا علي خليفة البغدادي .

ويحرص رشيد رضا في كل مناسبة ان يؤكد انه ينتسب الى بيت الرسول ﷺ فنراه يقول عن الامام علي رضي الله عنه « جدنا المرتضى عليه السلام »[2] ويقول « جدنا الحسين عليه السلام »[3] ويقول « جدنا الامام

---

(١) التفسر ورجاله : محمد الفاضل بن عاشور ص ٢٤٥ .

(٢) مجلة المنار المجلد ١٣ ص١٣٢ .

(٣) المرجع السابق المجلد ١٥ ص ٧٨ .

جعفر الصادق عليه السلام »[1]

أما والدة رشيد فاسمها فاطمة وتنتسب الى البيت النبوي من جهة الأب والأم حيث يقول رشيد عنها « فاطمة أم رشيد حسنية الأب والأم »[2] .

وقد حقق الدكتور حسيب السامرائي نسب رشيد رضا هذا وهو في القاهرة فاتصل بعائلة السيد طالباً منهم التوضيح فلم يجد شيئاً جديداً ثم عرج نحو النجف وفتش كتب النسب ـ والنسب الحسيني في النجف ـ كما يقول ـ له قيمته الدينية والقيادية لأن خمس الخمس وحق الامام لا يدفع الا لمن كان حسينيا فلم أجد أثراً للعائلة ولا يوجد اسم منلا علي خليفة البغدادي ، فقلت اذن لم يكن المنلا علي خليفة البغدادي شيعياً ولعله من اهل السنة والجماعة ولا بدّ ان يكون النسب في بغداد فذهبت الى نقيب الاشراف وقلبت الانساب لعلي احظى باسم منلا على خليفة البغدادي فلم أحظ بشيء »[3]

ولا يهمنا نحن ـ بكثير ـ ان صحت نسبته الى آل البيت أو لم تصح بقدر ما يهمنا ادراك الغرض من التأكيد على انتساب هؤلاء الثلاثة الى آل البيت أو الى عمر بن الخطاب رضي الله عنهم .

جمال الدين ـ كما يقولون ـ ينمي نسبه الى علي الترمذي ويرتقي الى الحسين بن علي رضي الله عنهما .

ومحمد عبده ينتسب من جهة الام الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

ورشيد رضا ينتمي من جهة الأب والام الى آل البيت .

احسب ان الغرض من هذا التأكيد على هذا النسب مع عدم ثبوته كما

---

(١) تفسير المنار جـ ١ ص ٥١ وجـ ١١ ص ٤٩ .

(٢) مجلة المنار المجلد ٣٢ ص ٧٣ .

(٣) رشيد رضا المفسر : حسيب السامرائي ص ٢٨٣ .

فصلنا في تراجمهم لا يخلو من هدف او اهداف واحسب ان من اهداف الظهور بمظهر القداسة عند العامة حتى يألفوهم ويتقربوا اليهم ويحسنوا الاصغاء الى اقوالهم ويزيدنا ريبه قول الافغاني الذي نقلناه في ترجمته حينما اخبر الركاب بأن السفينة لن تغرق وحين سأله احد اتباعه بعد ذلك عن ذلك اجابه « لو غرقت السفينة لم اجد منهم احدا يكذبني وان سلمت ظهرت بالقداسة من اقرب سبيل »[1] .

وأحسب ان من اهدافه ان يكون هذا النسب حصانة لهم من أذى الدولة او استخفاف الخصوم ولهذا يذكر الدكتور احمد الشرباصي ان حرص رشيد على ذكر هذا النسب خف حينما خفّ ما سماه (كابوس الطغيان العثماني) من جهة وسطع نجم رشيد رضا من جهة اخرى »[2] .

مولده ونشأته :

ولد يوم الاربعاء ٢٧ جمادى الأولى ١٢٨٢ هـ الموافق ١٨ تشرين الأول ١٨٦٥م في قرية « قلمون » على شاطىء البحر جنوب طرابلس الشام على بعد ثلاثة اميال نشأ بها ودخل في كتابها وتعلم فيه قرآءه القرآن الكريم والخط وقواعد الحساب ثم دخل المدرسة الرشدية بطرابلس الشام وهي ابتدائية تابعة للدولة العثمانية والتعليم فيها بالتركية لأنها تعد خريجها لتولي الوظائف الحكومية وتركها بعد عام والتحق بالمدرسة الوطنية الاسلامية بطرابلس ايضا سنة ١٢٩٩ هـ - ١٨٨٢م وكان التعليم فيها بالعربية وتدرس بها اللغتان التركية والفرنسية وكان الشيخ حسين الجسر هو المنشىء لهذه المدرسة وهو احد علماء الشام الافذاذ ولم يطل عمر هذه المدرسة فأغلقت وتفرق طلبتها والتحق السيد بالمدارس الدينية بطرابلس ومع هذا فلم يقطع صلته باستاذه حسين

---

(١) نابغة الشرق جمال الدين الافغاني : سعيد الافغاني ص ٩١ - ٩٢ وجمال الدين الافغاني : عبد القادر المغربي ٥٠ - ٥١ .

(٢) رشيد رضا صاحب المنار : ماحمد الشرباصي ص ١٠٦ - ١٠٧ .

الجسر فظل ينهل الكثير من المدرسة ومن الشيخ حتى نال الشهادة العالية من المدرسة ونال الاجازة في التدريس من شيخه وكان السيد رشيد مقدما عند استاذه وزادت ثقته فيه حتى صار يطلب رأيه في مؤلفاته وكان السيد لا يهاب ابداء رأيه وظل رشيد موضع تقدير استاذه الذي اتاح له الكتابة في الصحف وكان لهذا التوجيه من استاذه اثر كبير في حياته وكان له اساتذة آخرون اخذ عنهم علم الحديث والفقه والأدب والبلاغة ولم يكن لاحدهم من التأثير ما للأول .

وفي الحق ان السيد رشيد تأثر في حياته برجلين وكتاب ومجلة اما الرجلان فتقدم ذكر الأول اما الثاني فمحمد عبده . اما الكتاب فكتاب احياء علوم الدين للغزالي اما المجلة فالعروة الوثقى .

مع الغزالي :

قرأ السيد رشيد احياء علوم الدين للغزالي ودأب على مطالعته مرارا وتكرارا حتى صار له بالغ التأثير في سلوكه فأحب التصوف وانقطع للعبادة وحدث عن نفسه بعد صلاة العيد فقال « صعدت الى غرفة خلوتي واتممت قراءة ما بلغته من الأحياء وفيه ذلك البحث البليغ العظيم التأثير في الفناء والتوحيد فما اتممته الا وشعرت بأنني في عالم آخر من اللذة الروحية وانه لم يبق لي وزن فكأني روح بغير جسم[1] » واستمر السيد في طريقته الصوفية .

الأمر بالمعروف

وكان السيد مع هذا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فأعلن انكاره لما يحدث في مجالس الذكر لجماعة المولوية وكان يقرأ الدروس في المسجد ويحث في خطبة الجمعة على الاصلاح ويذهب الى المقاهي وينصح من فيها باداء الصلوات ويبسط في تعليمهم ابواب الفقه ويقرب قواعده للعامة ويحذر من التبرك باصحاب القبور ويأمر بقطع الاشجار التي يتبرك فيها بعض العوام

---

(١) رشيد رضا: ابراهيم احمد العدوي ص ٣٥ .

ويلقي الدروس على نساء القرية لتعليمهن امور دينهن في الطهارة والعبادات واللباس .

العروة الوثقى

كان هذا تصوفه وكانت تلك بداية اصلاحه وهما نتيجة تأثره باحياء علوم الدين الى ان التقى بالمؤثر الثاني الذي يحدث عنه رشيد فيقول : « كنت أقلب في أوراق والدي فرأيت عددين من جريدة العروة الوثقى فقرأتهما بشوق ولذة ففعلا في نفسي فعل السحر »[1] « وكان كل عدد منها كسلك من الكهرباء اتصل بي فأحدث في نفسي من الهزة والانفعال والحرارة والاشتعال ما قذف بي من طور الى طور ومن حال الى حال »[2] ويصف الطورين والحالين فيقول « كان همي قبل ذلك محصوراً في تصحيح عقائد المسلمين ونهيهم عن المحرمات وحثهم على الطاعات وتزهيدهم في الدنيا . . . فتعلقت نفسي بعد ذلك بوجوب ارشاد المسلمين عامة الى المدنية والمحافظة على ملكهم ومباراة الامم العزيزة في العلوم والفنون والصناعات وجميع مقومات الحياة فطفقت استعد لذلك استعداداً »[3] .

مع الأفغاني وعبده :

واشتهر حبه وتعلقه الشديد بالافغاني ومحمد عبده حتى صار الثناء عليهما أمامه يعتبر تقرباً اليه .

وكتب الى الافغاني وهو في الآستانة كتاباً ابان له فيه ما يكنه له من محبة وتأييد وسأله ان كان يقبله مريداً يتلقف الحكمة منه وتلميذاً يقوم ببعض الخدمة[4] .

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام رشيد رضا جـ ١ ص ٨٤ .
(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ٣٠٣ .
(٣) المرجع السابق جـ ١ ص ٨٤ ـ ٨٥ .
(٤) تاريخ الاستاذ الامام رشيد رضا جـ ١ ص ٨٧ .

وكان الشيخ محمد عبده في الشام منفياً من مصر والتقى به السيد رشيد مرتين في طرابلس في مناسبتين قصيرتين كان نتيجتهما زيادة إعجاب السيد رشيد بالإمام ورغبته في الاتصال به .

رحلته إلى مصر :

وبعد ان توفي الافغاني سنة ١٣١٤ هـ عزم السيد رشيد على الرحيل الى مصر للاتصال بوارث علمه وحكمته الاستاذ الامام لتلقي الحكمة منه[١] .

وكان وصوله الى القاهرة يوم السبت ٢٣ رجب ١٣١٥ هـ .

اللقاء :

وفي ضحوة الاحد ذهب الى زيارة الاستاذ محمد عبده بداره في الناصرية وكان أول حديث لهما في هذا اللقاء الأول عن اصلاح الازهر وما قام به الامام من اصلاحات فيه وكان اول اقتراح له عليه ان يكتب تفسيراً للقرآن ينفخ فيه من روحه التي وجد روحها ونورها في مقالات العروة الوثقى[٢] . فلم يوافق الامام بل اجابه ان القرآن لا يحتاج الى تفسير كامل من كل وجه فله تفاسير كثيرة اتقن بعضها ما لم يتقنها بعض ولكن الحاجة شديدة الى تفسير بعض الآيات فاقترح عليه رشيد ان يقرأ درساً في التفسير واكثر عليه القول في ذلك في زياراته التالية .

درس التفسير :

فوافق الامام وبدأ الدرس في غرة المحرم سنة ١٣١٧ هـ وانتهى منه في منتصف المحرم سنة ١٣٢٣ هـ عند تفسير قوله تعالى ﴿ وكان الله بكل شيء محيطاً ﴾ من الآية ١٢٥ من النساء[٣] وتقدم بيان طريقته في ذلك ولم يتوقف

---

(١) المرجع السابق جـ ١ ص ٩٩٨ .
(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ٧٦٥ . (٣) المرجع السابق جـ ١ ص ٧٦٨ .

التفسير بموت الامام فواصل السيد رشيد التفسير من حيث توقف استاذه .

منهجه في التفسير

ويصف طريقته بعد وفاة أستاذه في التفسير فيقول « هذا وانني لما استقللت بالعمل بعد وفاته خالفت منهجه رحمه الله تعالى بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة سواء كان تفسيراً لها أو في حكمها وفي تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللغوية والمسائل الخلافية بين العلماء وفي الاكثار من شواهد الآيات في السور المختلفة وفي بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إلى تحقيقها »[1] .

كانت تلك طريقته في التفسير بعد وفاة استاذه واكمله الى الآية ١٠١ من سورة يوسف وطبع الجزء الثاني عشر والاخير من المنار الى نهاية الآية ٥٣ من سورة يوسف أما الباقي من السورة فاكمله الاستاذ بهجت البيطار وطبعه باسم رشيد رضا في كتاب مستقل[2] يشمل السورة كاملة .

جريدة المنار :

كان من اغراض السيد رشيد الباعثة له على الانتقال من الشام الى مصر انشاء صحيفة اصلاحية الا انه احب اخذ موافقة استاذه اولا فاستشاره في ٦ شعبان ١٣١٥ هـ وبعد نقاش وحوار وافق الاستاذ بعد ان اقترح ثلاثة امور :

١ ـ ان لا يتحيز لحزب من الاحزاب .
٢ ـ ان لا يرد على جريدة من الجرائد التي تتعرض له بذم او انتقاد .
٣ ـ ان لا يخدم افكار احد من الكبراء[3] .

ثم شاوره في اختيار اسم لها وعرض عليه مجموعة من الاسماء فأختار

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا جـ ١ ص ١٦ .
(٢) التفسير والمفسرون محمد حسين الذهبي جـ ٣ ص ٢٤٣ .
(٣) تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ ص ١٠٠٣ .

اسم المنار وصدر العدد الأول في ٢٢ شوال سنة ١٣١٥ هـ ١٧ مارس ١٨٩٨ م وأعلنت فيه أغراضها وهي نشر الاصلاحات الاجتماعية والدينية والاقتصادية واقامة الحجة على ان الاسلام باعتباره نظاماً دينياً لا يتنافر مع الظروف الحاضرة وان غاية رشيد من انشاء المنار مواصلة السير على منهج العروة الوثقى[١] .

وآخر ما طبع من المنار الجزء الثاني من المجلد الخامس والثلاثين في ٢٩ ربيع ثاني ١٣٥٤ هـ/١٩٣٥م .

وبذل الامام وسعه في بثها وانتشارها فكان يثني عليها في مجالسه ويتحدث عنها وكأنه صاحبها وبالمقابل كانت الصحيفة سبب شهرة الاستاذ وبث آرائه وافكاره وتفسيره ولمس الاستاذ الامام ذلك عندما زار تونس والجزائر[٢] .

الاصلاح :

جعل السيد رشيد رضا صحيفته منبراً للاصلاح ونشر فيها مقالات استاذه الاصلاحية وكتب بنفسه مقالات اخرى واستكتب العلماء والأدباء الذين يشاركونهم المهنة .

واشتهر اسم السيد رشيد رضا ليس في العالم العربي فحسب بل وفي العالم الاسلامي وبلاد اوروبا فراسله العلماء والجمعيات والافراد والمستشرقون وكلهم يشيد بالمنار .

البدع :

فقويت الحاجة الى نشر الاصلاح فحذر من البدع والخرافات السائدة في المجتمع وبين ان الاسلام بريء منها وحمل العلماء مسؤولية انتشارها

---

(١) رشيد رضا تأليف ابراهيم احمد العدوي ص ١٣٥ .
(٢) تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ ص ١٠١٧ .

ووجوب قلعها من جذورها وبين ان العلماء والحكام بمنزلة العقل المدبر والروح المفكر من الانسان وان صلاح حالهما يصلح حال الأمة وان العلماء هم القائمون على الطب الروحاني الذي هو تهذيب الاخلاق وتقويم العادات وبين لهم الطريق الى ذلك بأنها طريقة الوعظ والتعليم بالخطابة من على المنابر وفي اماكن البدع نفسها وتحمل المشاق المترتبة على ذلك مع تحلي الدعاة بالاخلاق الفاضلة والآداب الاسلامية السامية .

التربية والتعليم :

وواصل السيد رشيد في صحيفته دعوة استاذه الى اصلاح التربية والتعليم فحذر الراغبين في اصلاح التربية والتعليم من تقليد المدارس الحكومية السائدة اذ ان هدف تلك المدارس اعداد تلاميذها للوظائف « ومن يرمي بتعليمه الى هذا الغرض فهو خاسر . . وأجدر بتعليم هذا شأنه ان يسعى في ازالته »[1] وبين الفنون التي يجب ادخالها في ميدان التربية والتعليم لمسايرة ركب العلم والعرفان وهي علم اصول الدين وتهذيب الاخلاق وفقه الحلال والحرام والعبادات والاجتماع وتقويم البلدان والتاريخ والاقتصاد وتدبير المنزل والحساب والصحة وعلم لغة البلاد والخط[2] ودعا الناس الى انشاء المدارس بأنفسهم لأن المدارس الحكومية في عهده خاضعة للاستعمار مع انتشار المدارس التبشيرية .

معهد الدعوة والارشاد :

حينما اشتدت الحاجة الى دعاة على قدر كبير من الوعي والقدرة على الاصلاح وردت اليه كتب من اطراف العالم الاسلامي تطلب منه بذل العون والمساعدة لهم ضد الارساليات التبشيرية التي اغرقت البلاد بمبشريها

---

(١) مجلة المنار العدد ٣٠ في ٢٤ جمادي الأولى سنة ١٣١٦ هـ المجلد الأول ص ٧٥٠ .

(٢) رشيد رضا لابراهيم العدوى ص ١٧٧ - ١٧٨ .

ومدارسها فرأى السيد رشيد ان من الواجب انشاء مدرسة لتخريج الدعاة وارسالهم الى تلك الاقطار . فكتب في المنار عن ذلك ولم يكتف بالمقالات فزار الآستانة وحصل على الموافقة على ذلك[1] وافتتحت في ربيع الأول سنة ١٣٣٠ هـ وكانت تعطي الطالب شهادة مرشد بعد ثلاث سنوات تؤهله للدعوة والارشاد بين المسلمين أما اذ واصل سنوات ثلاث اخرى فيصبح داعياً من الدعاة لغير المسلمين للدخول في الاسلام وكان لهذه المدرسة اثر كبير في اعداد الدعاة .

اصلاح الازهر :

وسار على نهج استاذه في اصلاح الازهر وكتب كثيراً من الانتقادات والآراء وزادنشاطه وحماسه بعداستقالة استاذه ووفاته إذ أحس ان عليه العبء الأكبر بعد ذلك وكان يلقى من المشاق الكثير وكان خصومه اكثر من خصوم استاذه اذ ان خصوم استاذه خصوم له بالتبع ويفوقه بخصومه هو فاضطر الى تأليف كتاب عن « الازهر والمنار » سنة ١٣٥٢ هـ شرح فيه آراءه وخلاصة تجاربه في هذا الميدان وما اعترضه من عقبات[2] .

مطبعة المنار :

وكان السيد قد انشأ للمنار مطبعة خاصة بعد ان كانت تطبع في المطابع التجارية ولم تقتصر تلك المطبعة على طبع المنار فحسب بل كانت تطبع الكتب الاسلامية .

في السياسة :

كتب السيد رشيد مقدمة العدد الأول ونقد عليه استاذه فيها تدخله في السياسة وبيان ما للأمة على الامام وما للامام على الامة . . وحذره من الخوض في السياسة والتدخل فيها وكان السيد يمتثل أمر استاذه .

---

(١) رحلات رشيد رضا جمع وتحقيق يوسف أيبش ص ٦١ ـ ٧٣ .

(٢) رشيد رضا ابراهيم العدوى ص ٢٠٧ .

وفي ذلك الوقت كان عبد الرحمن الكواكبي طليقاً يكتب في السياسة ما يشاء والف « طبائع الاستبداد » و « ام القرى » فلم يقف السيد رشيد مكتوف اليدين امام هذا النشاط فنشر تباعاً « سجل ام القرى » فساعد على ترويج المنار .

وظل رشيد يجد من استاذه كابحاً لجماحه كلما هم بالانطلاق نحو معترك السياسة[1] ولما توفي الاستاذ دخل السيد رشيد ميدان السياسة جهاراً فنقد الدولة العثمانية وانشأ مع العثمانيين المقيمين في القاهرة « جمعية الشورى العثمانية » وتولى رئاستها وبدأت ترسل منشوراتها السرية الى سائر ارجاء البلاد العثمانية فأقلق مضاجع السلطة الى ان وقع الانقلاب العثماني وكان رشيد من الساعين الى هذا الانقلاب بالخفاء[2] .

وحينما احتلت ايطاليا طرابلس الغرب كتب عشر مقالات بعنوان المسألة الشرقية[3] حذر فيها من الخطر الذي يحدق بالعالمين الاسلامي والعربي . ولما نشبت الحرب العالمية الأولى حاول الانجليز استمالته اليهم ولما لم يروا منه ذلك صار تحت مراقبتهم[4] .

ونشط في ابداء آرائه السياسية في جميع الاحداث في تلك الفترة وما وبعدها وكان له مشاركة في محاربة الصهيونية وسعيها الى الاستيلاء على فلسطين فاشترك في المؤتمر السوري الفلسطيني في جنيف سنة ١٩٢١م ووقع الاختيار عليه ليكون نائباً لرئيس المؤتمر وكتب سلسلة من المقالات عن ثورة فلسطين اسبابها ونتائجها وحقائق في بيان حال اليهود والانجليز والعرب .

---

(١) المرجع السابق ص ٢١٦ - ٢١٩ .
(٢) مجلة المنار مجلد ١٤ ص ٤٣ .
(٣) رشيد رضا ص ٢٣٦ .
(٤) المرجع السابق ص ٢٤٣ .

مؤلفـاته :

وكان له نصيب كبير في الكتابة والتأليف حـتى قال عنه شكيب ارسلان « ولم أكن ارى في عصرنا هذا اصبر على الكتاب واجلد على الشغل واسيل قلما واسرع خاطراً من الشيخ رشيد فلو وزعنا ما كتبه بقلمه وبخط بنانه في حياته على خمسين كاتب لاصاب كلا منهم قسط يجدر بأن يجعله في صف المؤلفين العاملين »[1] ومن الصعب حصر مقالاته وكتاباته الصحفية ومؤلفاته العلمية ونكتفي بذكر ابرزها :

١) الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية وهو اول مؤلفاته دونه اثناء طلبه العلم في الشام .
٢) مجلة المنار وسبق الحديث عنها .
٣) تاريخ الاستاذ الامام في ثلاثة مجلدات وهو أوسع ترجمة للامام محمد عبده .
٤) نداء للجنس اللطيف . ٥) الوحي المحمدي . ٦): المنار والازهر .
٧) ذكرى المولد النبوي ٨) الوحدة الاسلامية . ٩) يسر الاسلام .
١٠) الخلافة . ١١) الوهابيون والحجاز .
١٢) السنة والشيعة أو الوهابية والرافضة . ١٣) مناسك الحج .
١٤) تفسير المنار وسبق الحديث عنه .
١٥) الربا والمعاملات في الاسلام .
١٦) مساواة الرجل بالمرأة ١٧) رسالة في ابي حامد الغزالي .
١٨) المقصورة الرشيدية . ١٩) شبهات النصارى وحجج الاسلام .
٢٠) خلاصة السيرة المحمدية . ٢١) تفسير الفاتحة وست سور من خواتيم القرآن .
٢٢) انجيل برنابا . ٢٣) المسلمون والقبط .
٢٤) عقيدة الصلب والفداء . ٢٥) محاورات المصلح والمقلد .

---

(١) شكيب ارسلان : رشيد رضا أو اخاء اربعين عاما ص ١٦٢ و١٦٣ .

٢٦) فتاوى السيد رشيد رضا . ٢٧) ترجمة القرآن .

وكانت تلك مؤلفاته المطبوعة بالاضافة الى العديد من المقالات الصحفية والرسائل بينه وبين العلماء نذكر لذلك مثلا رسائله الى شكيب ارسلان التي بلغت نحو مائتي رسالة منها ما يتجاوز عشر صفحات[١] .

وفـــاته :

خرج السيد رشيد رضا يوم الخميس ٢٣ جمادي الأولى ١٣٥٤ هـ ٢٢ اغسطس ١٩٣٥ م لوداع الامير سعود بن عبد العزيز في السويس واثناء عودته بالسيارة وقبل وصوله مصر الجديدة كان منصرفاً لقراءة القرآن وما زال يقرأ حتى اصابه دوار من ارتجاج السيارة وتقيّأ ثم عاد الى القرآن يقرأه ثم اتكأ على ظهره في السيارة وقد فاضت روحه في منتصف الساعة الثانية من بعد ظهر هذا اليوم ودفن رحمه الله في قرافة المجاورين فى قبر بجوار استاذه محمد عبده[٢] .

سلفيته :

واحسب ان الحديث عن السيد رشيد رضا لا يتم الا بالحديث عن سلفيته ، كيف لا وهي الصورة التي رسخت في اذهان الناس عنه .

ولعل الحديث عن مثل هذه السمة البارزة في شخصية السيد رشيد يطرح سؤالا عريضاً عن كيفية جمع السيد رشيد لصفة السلفية مع انتمائه الى المدرسة العقلية الحديثة وهم الى المعتزلة أقرب منهم الى السلف .

الحق ان السيد رشيد ـ وهذا حسب اعتقادي ـ بدأ يتحوّل تدريجياً من منهج المدرسة العقلية الحديثة الى منهج السلف ولعل بداية هذا التحول تعقب وفاة استاذه محمد عبده .

وهو وان لم يكن تحولاً كاملا الا أنه كان في ازدياد الى ان ادركته الوفاة

---

(١) رشيد رضا ـ ابراهيم العدوى ص ٢٦٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٨١ ـ ٢٨٣ .

وتبدو مظاهر هذا التحول عن سيرة سلفه التي ساروا عليها فيما يلي : ـ

أولاً : منهجه في التفسير

فقد نصّ في تفسيره على انه خالف منهج استاذه بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة سواء كان تفسيراً لها أو في حكمها وفي تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللغوية والمسائل الخلافية بين العلماء ، وفي الأكثار من شواهد الآيات في السور المختلفة وفي بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين الى تحقيقها بما يثبتهم بهداية دينهم في هذا العصر أو يقوي حجتهم على خصومه من الكفار والمبتدعة أو يحل بعض المشكلات التي اعيا حلها بما يطمئن به القلب وتسكن اليه النفس[1] .

ثانياً : عنايته بكتب السلف وطبعها في مطبعة المنار وذلك بطبع كتب ابن تيمية وابن القيم والشيخ محمد بن عبد الوهاب ونحوهم وهو أمر اشتهر به السيد رشيد والمنار حتى سماه خصومه بالوهابي .

وبذل جهداً كبيراً في الدفاع عن العقيدة السلفية المتمثلة في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فكتب مقالات عديدة في الدفاع عنها بل تجاوز هذا الى التأليف فألف كتاب :

١ ـ السنة والشيعة أو الوهابية والرافضة « ردّ فيه على خصوم دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الشيعة والرافضة » .

٢ ـ الوهابيون والحجاز « وهو مجموعة مقالات كتبها حينما هاجم خصوم دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الحركة الاصلاحية ووصفوها بالابتداع والخروج عن الاسلام ، شرح فيها حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومبادئها واهدافها وحالة اتباعها في عصره وانهم لا يرجى غيرهم في اعادة ما للمسلمين من عزة ومجد[2] .

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ١٦ .

(٢) الوهابيون والحجاز : محمد رشيد رضا ص ١٠ .

ونشاطه في طبع كتب السلف وتحقيقها والتعليق عليها بما يوضحها ويجلوها للناس أمر لا يخفى ، وكان لها الأثر الكبير في تحوله الى مذهب السلف وتأثره بهم عن طريق كتبهم .

ثالثاً : الخصومة بينه وبين اتباع المدرسة العقلية الحديثة من تلاميذ الشيخ محمد عبده فقد ادركوا تحوله عن منهج شيخه وجرت بينه وبينهم مناقشات حادة في الصحف وكثيراً ما هاجموه وهاجموا آراءه الجديدة ومن هؤلاء الاستاذ محمد حسين هيكل رئيس تحرير جريدة السياسة المصرية فقد فتح مجلته للهجوم على السيد رشيد رضا ، ويذكر السيد رشيد ان السبب في ذلك هو وقوفه ضد علي عبد الرازق وكتاب « الاسلام واصول الحكم » الذي انكر فيه التشريع الاسلامي من اساسه[1] .

ومن هؤلاء الشيخ عبد العزيز جاويش والاستاذ محمد فريد وجدي فقد حاربوه على صفحات مجلتهم (العلم) الناطقة باسم الحزب الوطني ووصفوا جمعية الدعوة والارشاد ومدرستها التي يقوم السيد رشيد رضا برئاستها بأنها تعمل لاسقاط الخلافة العثمانية وانشاء خلافة عربية ، وهم يقصدون بهذا ان تقطع الدولة العثمانية عنها معونتها وتغلق ابوابها ويخسر السيد رشيد بابا من ابواب الاصلاح التي افتتحها ورد السيد رشيد على هذا وبادر الى اعلان نظام جمعية الدعوة والارشاد بكل وضوح[2] .

ولم يكن هؤلاء وحدهم خصومه بل كان منهم كل من يحارب الاسلام فضلا عن الدعوة السلفية اذكر من هؤلاء سلامة موسى الذي حمل على رشيد رضا حملة قوية حتى قال « ان بلدة طرابلس الشام صدرت الى مصر في تاريخها الحديث نكبتين : أولهما الطاعون وثانيهما الشيخ رشيد رضا »[3] .

---

(١) مجلة المنار المجلد ٢٨ ص ٢٤٠ .
(٢) مجلة المنار المجلد ١٥ ص ٩٢٥ والمجلد ١٣ ص ٤٦٥ وما بعدها .
(٣) محمد عبده : محمد صبيح ص ٦ .

ومع ان الخصومة بينه وبين الاستاذ هيكل والشيخ جاويش لم تمتد طويلاً فقد انتهت بالمصالحة والتراضي الا ان هذا يرجع الى سماحة السيد رشيد رضا ولين جانبه وتناسيه لاخطائهم بل كان سريع التأثر اذا ذكروا بعد موتهم عنده ولما مات جاويش كتب عنه السيد رشيد رضا في مجلة المنار ومدحه ورثاه[1] .

رابعاً : ان علاقة السيد رشيد بالانجليز لم تكن كعلاقة الافغاني وعبده المريبة بهم فقد كان السيد رشيد يعلن حربه للاستعمار بجميع اشكاله الانجليزي والفرنسي والايطالي .

ولم تكن له علاقة وطيدة مع رجال الانكليز بل لم تربطه اي علاقة وطيدة مع أي انجليزي الا مستر متشل انس الذي وصفه السيد رشيد بأنه كان من خيار الانكليز ، الذين تقلدوا بعض اعمال الحكومة بمصر[2] .

وكثيراً ما حذر السيد رشيد المسلمين من مخططات الانجليز وفضح اساليبهم ووصفهم بانهم اعداء الخلافة الاسلامية والعرب معاً ، وانهم الذين يحاربون دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ويساعدون خصومهم بالمال والعتاد ويذكر موانع انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بأنها الدولة العثمانية ومحمد علي باشا ودولة الدسائس الشيطانية[3] ويقصد بها بريطانيا .

أما الاستعمار الايطالي فقد كتب عنه حينما احتلت ايطاليا طرابلس الغرب عشر مقالات بعنوان المسألة الشرقية حذر فيها من الخطر الذي يحدق بالعالمين الاسلامي والعربي حتى اسطر وكلاء الدول الأوروبية في مصر الى الالتجاء الى المعتمد البريطاني في مصر ليوقف هذه المقالات ويحول دون انتشارها بين الامة العربية[4] .

---

(١) رشيد رضا او اخاء اربعون عاما : شكيب ارسلان ص ١٥٠ و ٢٦٦ ـ ٢٦٧ .
(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١٠ ص ٤٢٢ .
(٣) مجلة المنار المجلد ٢٦ ص ٢٠٥ .
(٤) رشيد رضا : ابراهيم العدوى ص ٢٣٨ .

أما الاستعمار الفرنسي فقد كان له نشاط كبير في كفاحه ومهاجمة سياسته الرامية الى تنصير المسلمين ونقد الازهر في عدم اصداره احتجاجاً على فرنسا بهذا المعنى[١] وكان كفاحه وحربه للاستعمار الفرنسي كبيراً ليس هذا مكـان استقصاؤه .

ومن هنا ندرك انه خالف منهج الافغاني وعبده في حرب الاستعمار فهما لم يشيرا في مجلتهما العروة الوثقى الى غير الاستعمار الانجليزي ـ كما مر ـ مع علاقتهم المريبة بهم .

أما هو فقد كان حربه صريحاً ومتنوعاً للاستعمار بجميع اشكاله والوانه .

خامساً : انه لم يدخل الماسونيـة بل كان يحذر منها ومن الانتساب اليها ومن رواجها بين المسلمين[٢] وكان اذا عاب أحد عنده الافغاني أومحمد عبده بدخول الماسونية اكتفى بقوله « نعم هما داخلان في الماسونية ولكن انا لم ادخل فيها[٣] » .

سادساً : ثم حربه لجمعية الاتحاد والترقي التي خلعت السلطان عبد الحميد بعد ما تكشفت له اهدافها التي ترمي اليها من القضاء على الخلافة الاسلامية وتأسفه على الخلافة الاسلامية ووصفه لجمعية الاتحاد والترقي بأنها جمعية الاحمرين الدم والذهب[٤] ووصف مصطفى كمال اتاتورك بالالحاد والمروق من الدين الاسلامي [٤]وأخذ يدعو بعد هذا بشده الى اعادة الخلافة الاسلامية والف في ذلك كتابه « الخلافة أو الامامة العظمى » ولم يكتف بالكتابة بل كان له نشاط عملي ودعا الى عقد مؤتمر للخلافة في مصر

---

(١) المنار والازهر : رشيد رضا ص ١٤ .
(٢) مجلة المنار المجلد ١٤ ص ٣١٨ .
(٣) الاسلام والحضارة الغربية محمد محمد حسين ص ٩٦ .
(٤) مجلة المنار المجلد ١٦ ص ١٤٥ وانظر المجلد ١٩ ص ١٥٩ .

عام ١٣٤٣ هـ وتم انعقاد المؤتمر ولم تكن له نتيجة مشجعة[١] .

ومن هذا ندرك مدى مخالفة السيد رشيد رضا لسيرة استاذيه الافغاني ومحمد عبده ولم يكن هذا التحول فجائياً بل كان التدرج واضحاً في سيره فقد كان يزداد قرباً الى منهج السلف كلما امتد به العمر الى ان توفاه الله .

ولا يعني هذا خروج رشيد رضا من نطاق بحثنا هنا فانا لا نحاسبه على الجانب أو الجوانب السلفية منه في فكره فهذه امور نحمدها له ونذكرها .

ولكن نعنى هنا بالجانب الآخر من فكره وهو جانب تأثره بالافغاني ومحمد عبده الذي بقي أثره معه الى وفاته لم ينفك عنه وليس هو بالقليل .

---

(١) رشيد رضا أو اخاء اربعين عاماً ص ٣٥٢ ـ ٣٥٣ وص ٤٤٤ ـ ٤٥٠ .

رابعًا: محمد مصطفى المراغي

يوضح لنا الاستاذ انور الجندي علاقة المراغي بمحمد عبده بأنه اذا كان الامام المراغي اكبر تلاميذ الامام كما يقول تشارلز آدمز فهو في الحق اقربهم اليه . واذا ذهبت تقارنه برشيد رضا ومصطفى عبد الرازق وضح لك هذا المعنى أما الشيخ رشيد فقد مال الى الصحافة والتوجيه الكتابي ولم يكن خطيباً وكانت آراؤه في نطاق متحفظ أقل جرأة من محمد عبده واقرب الى الجمود أما الشيخ عبد الرازق فقد كان اقرب الى الفلاسفة والأدباء والمعلمين منه الى المصلحين وكان منزعه الى الادب اقرب أما المراغي فقد كان سوياً على الصراط مصلحاً ازهرياً بالفطرة لم تأخذه الصحافة ولم تمل به السياسة ولم يذهب مذاهب الأدباء والفلاسفة[1] .

نشأته :

هو محمد مصطفى بن محمد بن عبد المنعم المراغي .

ولد في قرية « المراغة » من مديرية جرجا في الصعيد في شهر ربيع الآخر سنة ١٢٩٨ هـ الموافق ٩ مارس سنة ١٨٨١ م وبدأ في طلبه العلم كأنداده فحفظ القرآن في الكتاب وتردد على بعض العلماء في مدينة طهطا المجاورة للمراغة وانتقل بعد ذلك الى الازهر لمواصلة الدراسة في وقت

---

(١) الامام المراغي انور الجندي ص ١٤٤ - ١٤٥ .

كانت تسوده حركة فكرية اصلاحية امامها الشيخ محمد عبده فكان له الأثر في تكوين عقليته الاسلامية وتعلقه بالامام واعجابه به فحضر دروس البلاغة والتفسير التي كان الامام يلقيها في الازهر ولم يلبث في الازهر طويلاً فتقدم في سنة ١٩٠٤م لشهادة العالمية فأعطي الدرجة الثانية وعين مدرساً في الازهر .

في القضـــاء :

وبعد فترة قصيرة وفي نفس العام صدر الأمر بتعيينه قاضيا في مدينة دنقلة في السودان ثم عين في سنة ١٩٠٦ م قاضياً لمديرية الخرطوم ثم نقل الى مصر مفتشاً بوزارة الاوقاف سنة ١٩٠٧ وصدر الامر بعد ذلك في اغسطس ١٩٠٩م بتعيينه قاضياً لقضاة السودان وكان من اصلاحاته في هذا المنصب ان طالب كل محكمة ان ترسل كشفاً شهرياً بالقضايا والاحكام الصادرة فيها فيراجعها ويصحح الاخطاء ان وجدت بل ربما استدعى القاضي وناقشه في القضية[١] ثم نقل الى مصر في سبتمبر سنة ١٩١٩م بوظيفة رئيس للتفتيش الشرعي وتقلب بعدها في عدة مناصب كان من اهمها رئاسة المحكمة العليا الشرعية في سنة ١٩٢٣م حيث أصدر أمراً بتشكيل « لجنة تنظيم الاحوال الشخصية » برئاسته وكان يقول لاعضاء اللجنة « ضعوا من المواد ما يبدو لكم انه يوافق الزمان والمكان وانا لا يعوزني بعد ذلك ان آتيكم بنص من المذاهب الاسلامية يطابق ما وضعتم »[٢] !!

شيخ الأزهـــر :

وفي ٢٢ مايو سنة ١٩٢٨م عين شيخاً للازهر فكان ان تقدم بقانون جديد للازهر وهو يلخص تلك الاصلاحات في جوابه لسؤال من محرر جريدة الهلال فيقول : « نريد ان نقصر الازهر على الاقسام العالية واقسام التخصص

---

(١) الامام المراغي انور الجندي ص ١٧ .

(٢) المجددون في الاسلام عبد المتعال الصعيدي ص ٥٤٨ .

فقط أما القسم الابتدائي والقسم الثانوي فسنؤسس لهما مدرستين بالقاهرة . . « وبعد ذلك يدخل الطالب الازهر وهو ثلاث كليات الشريعة للقضاء والفقه واللغة العربية وهي تشبه دار العلوم بل المراد منها ان تقوم مقامها واصول الدين حيث يدرس الطالب جميع الاديان ومقابلة كل دين بآخر . . وفي كل هذه الكليات الثلاث يدرس الطالب لغات اجنبية ولغة شرقية قديمة أو حديثة »[١] .

ولا يتحقق للشيخ شيء مما اراد وتقف في سبيله العقبات فيستقيل في العاشر من اكتوبر ١٩٢٩م[٢] وقد صدرت خطة الاصلاح التي وضعها في القانون المعروف بالقانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠م[٣] ولكن بتعديل[٤] وفي السابع والعشرين من ابريل سنة ١٩٣٥م يعود الشيخ مرة اخرى الى مشيخة الازهر فيجري فيه بعض التعديلات وبدأ بتنظيم البعثات وبعد عودتهم لم يحققوا كل امله فيهم وكان يعلن ذلك في اسف الى خاصته ولم يهتم بعد ذلك بارسال بعثات اخرى[٥]، وقسم الوعظ ومعهد القراءات ولجنة الفتوى ووضع مشروع المدينة الازهرية ومكتب البحوث الثقافية والمعاهد والوحدة الطبية[٦] ويستمر في هذا المنصب وتلك الاصلاحات الى وفاته .

اعمالـــه :

من ابرز اعمال الشيخ المراغي التي تدل على منهجه الفكري :

١ ـ تقريره عن الاحوال الشخصية الذي صدر القانون المصري عليه

---

(١) مجلة الهلال المصرية أول يوليه ١٩٢٩م ٢٤ محرم ١٣٤٧ هـ الجزء التاسع السنة ٣٧ المجلد الثاني ص ١٠٣٨ .

(٢) الشيخ المراغي باقلام الكتاب جمع ابو الوفا المراغي ص ١٢٢ .

(٣) الاسلام والتجديد في مصر تشارلز آدمز ص ٢٠٠ .

(٤) الشيخ المراغي بأقلام الكتاب جمع ابو الوفا المراغي ص ١٦ .

(٥) المرجع السابق ص ١٨ .

(٦) الامام المراغي انور الجندي ص ٧١ .

ولم يتقيد فيه بالمذاهب الاربعة[1] بناء على دعوته الى الاجتهاد ونبذ التقليد . وقد تجاوز بدعوته الحقّ وندّت منه عبارة تدل على ان قائلها يريد ان يكيف النصوص الموافقة المجتمع لا ان يكيف المجتمع لموافقة النصوص حيث يقول لاعضاء اللجنة « ضعوا من المواد ما يبدو لكم انه يوافق الزمان والمكان وانا لا يعوزني بعد ذلك ان آتيكم بنص من المذاهب الاسلامية يطابق ما وضعتم »[2] وهذا لا يعدّ اجتهاداً فضلا عن انه اخذ من المذاهب الاسلامية ولم يستنبط حكماً جديداً بالاجتهاد فهو تقليد فرّ منه اليه والى شر منه .

٢ ـ اصلاح الازهر وسبق الحديث عنه .

٣ ـ فتواه في جواز ترجمة القرآن الى اللغات الاخرى وهو يقسم القرآن للترجمة الى قسمين فيقول : « ان بعض آيات القرآن يمكن ان تترجم ترجمة حرفية وبعضها لا يمكن ان يترجم ترجمة حرفية »[3] ويجوز استنباط الاحكام من الترجمة[4] بل الناظر الى الترجمة الحرفية لا يكون مقلداً فيها المترجم في فهم المعنى ويكون مقلداً في النوع الثاني من الترجمة ويرى وجوب الصلاة بالترجمة الحرفية للعاجز عن العربية[5] مع اقراره بأن هذه « التراجم لا يصح ان تسمى القرآن »[6] وقوله « ان الفقهاء لا يجيزون الصلاة بالتفسير بالاجماع »[7] وسنعرض لهذا بمزيد بيان ان شاء الله .

٤ ـ مطالبته بحل جميع الهيئات الدينية ومن بينها جماعة الاخوان

---

(١) تراجم الاعلام المعاصرين انور الجندي ص ٤٣١ .

(٢) المجددون في الاسلام عبد المتعال الصعيدي ص ٥٤٨ ، الفتح المبين في طبقات الاصوليين عبد الله مصطفى المراغي جـ ٣ ص ١٩٨ ، تراجم الاعلام المعاصرين انور الجندي ص ٤٢٨ .

(٣) بحث في ترجمة القرآن محمد مصطفى المراغي ص ١٣ .

(٤) بحث في ترجمة القرآن محمد مصطفى المراغي ص١٢ .

(٥) المرجع السابق ص ١٩ و٢٧ .

(٦) المرجع السابق ص ١٢ و ٢٩ .

(٧) المرجع السابق ص ٢٧ .

المسلمين لأن هذه الهيئات اباحت لنفسها استصدار الفتوى ونشرها على الناس بما يتفق واغراضها . . ولكن الامام المراغي مات قبل ان تنفذ رغبته(١) .

تفسيـــره :

سن الملك فاروق الأول سنة حسنة وذلك بتعيين المراغي لالقاء درس في التفسير في بعض المساجد في شهر رمضان وكان الملك يحضره بنفسه مما كان له اثره في الاقبال على ذلك الدرس مع نقله في الاذاعة وطبعه في مجلة الازهر ثم نشره مستقلاً .

ولم يكن الشيخ المراغي من المكثرين في التفسير بل كان مقلاً ولا يتناول فيه الا آيات وسور قليلة . أما الآيات فمن سور متفرقة أما السور فالحجرات والحديد ولقمان والعصر والملك .

منهجه في التفسير :

كان للشيخ عناية في اختيار الآيات لدروسه فكان يختار منها ما تتجلى فيه دلائل قدرة الله وآيات عظمته وما تظهر فيه وسائل هداية البشر ومواضع العظة والعبرة وما تظهر ان القرآن لا يقف في سبيل العلم ولا يصادم ما صح من نظرياته وقواعده(٢) .

وكان لا يحاول ان يجلو ما ابهمه القرآن واعرض الرسول ﷺ عن بيانه ولا يقحم في تفسيره الاسرائيليات فيقول مثلاً في تفسير قوله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾(٣)ونحن لا نعلم ما هو الذي فرضه الله على الامم السابقة من قبل : أهو شهر رمضان كما قال بعض الناس ام غيره

---

(١) لماذا اغتيل الشهيد حسن البنا عبد المتعال الجبري ص ٣٩ .
(٢) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبي جـ ٣ ص ٣٦٠ .
(٣) سورة البقرة من الآية ١٨٣ .

وليس لنا ما يهدينا الى شيء معين من دليل يطمئن اليه القلب »[1] وكان له عناية باظهار اسرار التشريع ومعالجة المشاكل الاجتماعية وعناية في التوفيق بين القرآن والعلم وذكر لاراء العلماء مع حرية في ابداء رأيه[2].

مؤلفاتــه :

كانت اغلب مؤلفات الامام المراغي رسائل او بحوث قصيرة وهي :-

١) بحث في ترجمة القرآن الكريم واحكامها .
٢) رسالة الاولياء المحجورين التي حصل بها على عضوية جماعة كبار العلماء وهي مخطوطة .
٣) بحوث في التشريع الاسلامي .
٤) تفسير جزء تبارك .
٥) تفسير سورة الحجرات .
٦) تفسير سورة الحديد وآيات من الفرقان .
٧) تفسير سورتي لقمان والعصر .
٨) الدروس الدينية التي كان يلقيها في المسجد ويحضرها الملك فاروق الأول تناول فيها تفسير عدد من الآيات المتفرقة .
٩) يوميــات .

وله بحوث فقهية في قانون الزواج والطلاق ما تزال مخطوطة لم تطبع بعد وهي موجودة في مكتبة الامام[3] .

وفــاتــه :

توفي الامام المراغي في الإسكندرية ليلة الأربعاء ١٤ / ٩ / ١٣٦٤ هـ الموافق ٢٢ اغسطس ١٩٤٥ م .

---

(١) الدروس الدينية لعام ١٣٥٧ محمد مصطفى المراغي ص ٦ .
(٢) التفسير والمفسرون محمد حسين الذهبي الجزء الثالث ص ٢٧٢ .
(٣) الامام المراغي انور الجندي ص ١٣٣ .

خامساً : محمد فريد وجدي

ليس اشق على الانسان ان يكتب ما يحتاج الى صفحات وصفحات بل المجلدات في صفحة واحدة أو في اثنتين ، وهو ما اضطرتنا اليه هنا رغبة الاختصار وخشية ان تكون هذه الرسالة بحث تراجم لا بحث منهج في التفسير وفي هذا ما نحسبه عذراً لنا اذا ما جاءت الترجمة هنا مبتورة مقتضبة اذ ليس مرادنا هنا الاستقصاء والشمول وانما التعريف ليس الا .

ذلك أن حياة محمد فريد وجدي بحر متلاطم الامواج زاخر العباب بخيره وشره بصلاحه وفساده ، بنفعه وضره ، بنوره وظلمته .

ولد محمد فريد بن مصطفى وجدي بن علي رشاد بين عامي ١٨٧٥ ، ١٨٧٨م على خلاف بين المؤرخين ، في الاسكندرية ، مكث فيها ١٦ عاماً تعلم في مدارسها تعليماً أبعد ما يكون عن الدين وعن الدراسات الاسلامية[١] .

ثم أختير والده وكيلا لمحافظة دمياط فانتقل اليها مع والده ، وكان والده يمنعه من مناقشة العلماء حينذاك في بعض المسائل المتعلقة بالكون والخلق ، لكن هذا لم يمنعه من حب المناقشة ما أمكن وبعد سنوات ثلاث

---

(١) محمد فريد وجدي وآثاره الاسلامية : عبد الحليم عويس ، مقال في مجلة اضواء الشريعة العدد الثامن ص ٤٥٤ .

انتقل الى السويس وتعلم فيها الفرنسية ، وفي سنة ١٨٩٩م اصدر رسالة له بعنوان « الفلسفة الحقة في بدائع الاكوان » وعلى اثر ذلك أصدر مجلة (الحياة) ثم كتب كتابه « المدنية والاسلام »[١] .

ثم انتقل الى القاهرة حيث قضى فيها بقية عمره فانشأ سنة ١٩٠٧ م جريدة خاصة به اسماها (الدستور) وشارك في كتابة المقالات في عدد من الجرائد والمجلات .

ويذكر الاستاذ عبد الحليم عويس ان « من البديهيات المعروفة ان فريداً قد تأثر بالجو الاسلامي الذي كان سائداً في بلاد الشرق كلها آنذاك . اعني بتلك الانفاس العطرة التي اشاعها السيد جمال الدين الافغاني واستنشقها الناس عطرا وشذى . . فكانت برداً وسلاماً على الحركة الاسلامية ، مهما يكن من اجتهادات جمال الدين الخاطئة ، دينياً وسياساً[٢] [٣]» .

وقد كان له نشاط كبير منذ هذا التاريخ في التأليف والكتابة بالمجلات والجرائد السيارة ، حتى عام ١٩٣٣م حيث اسند اليه الاشراف على مجلة (نور الاسلام) التي تغير اسمها بعد عامين الى مجلة الازهر وفي هذه المرحلة توقف وجدي تماما عن التأليف وتخلص من المطبعة وغيرها من وسائل النشر واكتفى بهذا العمل وحده وجعله طريقة الى قرائه والى الناس[٤] .

اما انتاجه الفكري فنذكر من كل نوع اهمه :

اما التأليف فمن اهم مؤلفاته :

١) دائرة معارف القرن العشرين في مجلدات عشرة .
٢) المدنية والاسلام .

---

(١) الاعلام : خير الدين الزركلي جـ ٧ ص ٢٢٠ .
(٢) كيف يستنشق الناس عطراً وشذى اجتهادات خاطئة دينياً وسياسياً ؟!
(٣) محمد فريد وجدي : عبد الحليم عويس (أضواء الشريعة العدد ٨ ص ٤٥٤ .
(٤) محمد فريد وجدي : أنور الجندي ص ٨٧

٣) على اطلال المذهب المادي ، في ثلاثة اجزاء .
٤) الاسلام في عصر العلم جزءين .
٥) المصحف المفسر .
٦) صفوة العرفان وهي (مقدمة المصحف المفسر) .

أما الصحافة فقد اصدر من الصحف والمجلات :

١) الحيـــاة ٢) الدستـور . ٣) الوجديات

أما المقالات الصحفية :
فقد انتشرت في عدد كبير من الصحف والمجلات واهم مقالاته :

١) مهمة الدين الاسلامي في العالم في ٢٦ حلقة .
٢) السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة في ٨٠ حلقة .
٣) عناصر المدنية في الديانة الاسلامية(١) .

ومن المعروف ان وجدي كان نباتياً لا يأكل اللحوم ومشتقاتها منذ سنة ١٩١٤م(٢) ومما يؤخذ عليه مناصرته للانقلاب على الخلافة الاسلامية ، وثناؤه على اتاتورك وتمجيده له وتمجيد حركته التي ثبت ـ في وقته ـ عداؤها للاسلام واهله .

وكذا ايمانه باستحضار الارواح فقد سئل عما اذا كان يؤمن باستحضار الارواح فأجاب بالايجاب(٣) .

وكذا تأثره واعجابه الشديدين بالمدنية الغربية وانخداعه ، بمنهجها ، وغير ذلك كثير وقد كانت وفاته في ١٥ فبراير ١٩٥٤م .

---

(١) المرجع السابق ص ٨٥ .
(٢) محمد فريد وجدي وآثاره الإسلامية : حامد عويس أضواء الشريعة جـ٨ ص ٤٥٧ و ٤٨٧ .
(٣) محمد فريد وجدي : أنور الجندي ص ٩٦ .

تفسيره :

للاستاذ محمد فريد وجدي كتاب واحد في التفسير ـ كما مر ـ هو المصحف المفسر وقد بين في مقدمته لهذا الكتاب سبب تأليفه حيث قال : ـ « فإني حوالي سنة ١٣٢٣ هـ حاولت أن أقرأ القرآن قراءة تدبر وفهم كماأمر به موحيه سبحانه وتعالى فأعوزني ان أجد من التفاسير ما يبلغني امنيتي من أقرب الطرق واسهلها فان المطولات لا يتسع لتلاوتها وقت امثالي من المشتغلين بفروع كثيرة من العلم ، والمختصرات قصد بها حلول المسائل الفنية من التفسير وكان مرادي تفسيراً يعطي الالفاظ العربية حقها من البيان ويعرض للمعنى بعبارة خالية من المسائل الفنية مع بيان أسباب نزول الآيات ليتجلى للقارىء المعنى بكل جلاله فأخذت اضع تفسيراً لنفسي وشرعت اكتبه على هامش مصحف لاتخذه عمدة في تلاوتي للكلام الكريم وقبل ان أتمه ادركت ان هذا العمل طلبة كل تالٍ للقرآن العظيم فرأيت أن أتمَّ ذلك التفسير واطبعه ليعم انتشاره ، ففعلت وهو هذا الكتاب »[1] .

ثم بين منهجه في ذلك فقال : « اني استخلصت هذا التفسير من الآراء المجمع عليها لدى ائمة المفسرين واقطاب اهل السنة فلم اخرج به عن سنتهم قيد شعره ليوافق مذهباً من المذاهب أو يؤيد رأياً من الآراء الفردية ولو اضطرني الكلام في بعض الآيات على ان أورد رأياً لي او لاحد من غير اهل السنة نبهت اليه وعزوته لقائله حتى يكون القارىء علي بينة من أمره .

وقد راعيت في تفسيري هذا أن اعنى باللغة عناية لم يعن بها مفسر من السابقين فانهم فيما يظهر ـ لغزارة مادتهم اللغوية ـ لم يلموا من لغة القرآن إلا بالغريب الذي يعلو عن متناول كثير من الخاصة ولكني رأيت ان القرآن الكريم قد جمع أوجه كلمات اللغة العربية وعقائل مفرداتها ونحن احوج ما نكون الى التقوّي فيها لنحفظ وجودها من عبث العجمة بها ، فشرحنا المفردات شرحاً وافياً ودللنا على اصولها واتينا بمشتقاتها والتزمنا ان نشرح اللفظ حيث وجدناه

---

(١) المصحف المفسر : محمد فريد وجدي المقدمة .

ولو صادفناه في كل صفحة من صفحات المصحف »[1] .

سادسًا : محمود شلتوت

ولد شلتوت في ٢٣ ابريل ١٨٩٣م ببلدة منية بني منصور مديرية البحيرة ، والتحق بالمعهد الديني في الاسكندرية سنة ١٩٠٦م ونال شهادة العالمية سنة ١٩١٨م .

وعين مدرساً بمعهد الاسكندرية الديني عام ١٩١٩م ونقل في سنة ١٩٢٧م مدرسا بالقسم العالي في القاهرة وقد حاول في تلك الفترة مواصلة « الاصلاح » الذي بدأه الافغاني ومحمد عبده والمراغي في الازهر لكن المشرفين على سياسة الازهر رفضوا ذلك وصدر الأمر بفصله سنة ١٩٣١م .

ثم اعيد سنة ١٩٣٥م وعين وكيلا لكلية الشريعة الاسلامية ثم مفتشاً بالمعاهد الدينية .

وفي سنة ١٩٥٧م عين وكيلا للجامع الازهر الى أن صدر في ٨ ربيع الثاني سنة ١٣٧٨ هـ الموافق ٢١ اكتوبر ١٩٥٨م أمر بتعيينه شيخاً للجامع الأزهر . واستمر في هذا المنصب حتى وفاته .

وقد كان له جهد كبير في اصلاح الازهر قبل وبعد توليه المشيخة في الازهر قال الاستاذ احمد حسن الزيات « وكان قد سبقه في محاولة هذا الاصلاح ثلاثة من ابناء الازهر النابغين ولكنهم منوا جميعاً بالعجز عنه لاستبداد القصر يومئذ بسياسة الازهر . . فقضى محمد عبده بحسرة من بغي عباس ومضى المراغي بخيبة من هوى فؤاد وخرج عبد المجيد سليم بنزوة من نزق فاروق فاتجه - يعني شلتوت - بعقله وقلبه الى المشاركة في هذا الاصلاح »[2] .

---

(١) المصحف المفسر : محمد فريد وجدي المقدمة .

(٢) مجلة الازهر جـ ٦ مجلد ٣٥ شعبان ١٣٨٣ هـ ص ٦٤٤ وما قبلها .

وقد تحدث الاستاذ الزيات عن مكانة شلتوت بين الناس وعلل السبب بقوله « ومما ساعد على بلوغ هذه المكانة دعوته الى التقريب بين المذاهب والطوائف وعمله للسلام بين الأديان والأمم »[1] .

وقد ساهم في انشاء جمعية لهذا الغرض كانت تصدر مجلتها (رسالة الاسلام) وكان الشيخ شلتوت يكتب فيها تفسيراً للقرآن الكريم .

منهجه في التفسير : -

قام الشيخ شلتوت بتفسير الاجزاء العشرة الأولى من القرآن الكريم وتوفي ولم يكمل تفسيره للاجزاء الباقية .

وللشيخ شلتوت في التفسير طريقة تختلف عن طريقة سابقيه من المفسرين فلم يكن يلتزم ذكر النص القرآني أولاً ثم يتتبع مفرداته ومن ثَمَّ يعود الى بيان احكامه ومعناه الأجمالي ، بل كان الشيخ يعتني ببيان مقاصد السور التي يتعرض لتفسيرها ويبسط القول في بيان التوجيه القرآني فيما تتناوله السورة من قضايا اجتماعية أو احكام فقهية او قضايا في العقيدة ، ويعتني ببيان اسرار التعبير القرآني وإبراز أساليبه ومزاياها عناية خاصة ويتعرض إلى آراء بعض المتفلسفة العصريين في القصص القرآني وبيان فساد هذا الرأي ومنافاته لقدسية القرآن وهو حينما يتعرض الى بيان القضايا الاجتماعية فإنه يطبق ذلك على المجتمع الحاضر ويبرز علاجه حسب ما فهمه من القرآن الكريم ويعتني بإبراز مزايا التشريع الإسلامي وما يجره اجتنابه من ويلات على الشعوب .

وحينما يعرض لقضايا العقيدة فإنه لا يكتفي بنقد المذاهب والاتجاهات الفكرية القديمة أو البائدة وإنما يتطرق الى النظم المعاصرة .

وحينما يتعرض الى آيات الاحكام الفقهية فإنه كذلك يعتني بإبراز آراء الفقهاء ويدرسها لا دراسة تسليم بل دراسة نقد وتمحيص حسب فهمه ولا

---

(١) مجلة الازهر جـ ٦ مجلد ٣٥ شعبان ١٣٨٣ هـ ص ٦٤٤ وما قبلها .

يكتفي بترديد القديم من الآراء بل يتعرض الى شبهات العصريين في استباحة الربا والنظم الرأسمالية وفشلها وحينما يتعرض الى ذبائح اهل الكتاب لا يدع بيان حكم الاطعمة المستوردة من بلاد الكتابيين ونقد فتوى لجنة الفتوى بالازهر .

وهو في ذلك كله يصيب حيناً ويخطىء حيناً آخر إذ لا يلزم من صحة وحسن العرض والبيان صحة الفكرة وسلامة الرأي .

وهو ايضاً في طريقته هذه في العرض والبيان ينهج منهجاً خاصاً به هو جزء من منهج عام آخر هو منهج استاذه محمد عبده وتلاميذ مدرسة المنار فقد قال عنه الأستاذ : ـ محمد عبد الله السمان : «ان الحق الذي لا مراء فيه ان تفسيرات القرآن القديمة على كثرتها وضخامتها لم تكن لتغني أي مفكر في هذه الآونة عن تفسير كتفسير المنار . . الا ان هذا التفسير الجديد لم تشأ له الظروف العديدة أن يتم . . . وجاء الزمان بعقليات ناضجة تصلح أن تكون امتداداً لعقلية الامام المفكر ومنها عقلية المرحوم الامام المراغي . . ولم تشأ له الظروف أيضاً أن يفسر القرآن أو على الأقل أن يواصل ما وقف عنده الشيخ رشيد رضا . . وأما الأستاذ الأكبر الشيخ شلتوت فقد بدأ فعلاً في أن يقوم برسالته على نحو كتاب الله واستطاع أن يقدم للمكتبة الثلث الأول من القرآن والأمل في الله وحده ان يمده بالصحة والعافية حتى يكمل ما بدأ »[1] .

وقال عنه حسن الشيخة « لم ينقطع هذا الفيض القرآني بعد عصر الامام محمد عبده بل اتصل حاضره بماضيه وآخره بأوله فقد ربط الشيخ الاكبر محمود شلتوت بين عهده وبين عهد الامام وبين طريقته وطريقته بعروة وثقى لا انفصام لها ، فكان طليعة وارثيه في استقامته على طريقة الاصلاح بالقرآن للعقائد الدينية وللمجتمع الانساني »[2] .

---

(١) مجلة الأزهر مجلد ٣٢ الجزء الأول محرم ١٣٨٠ هـ ص ١١٢ ـ ١١٣ .
(٢) المرجع السابق المجلد ٣٠ الجزءان ٤ و ٥ ربيع الآخر وجماد الأولى ١٣٧٨ هـ .

وقال الاستاذ عباس محمود العقاد ان المنهج الذي اختاره شلتوت في التفسير واقتدى به هو منهج المعلم (المصلح العظيم محمد عبده) [1] وقال عنه الاستاذ خفاجي انه « ممن درسوا افكار الامام محمد عبده الاصلاحية التجديدية وتأثروا بها[2] .

وللشيخ شلتوت مؤلفات عديدة نذكر منها : ـ

١) فقه القرآن والسنة . ٢) كتاب مقارنة المذاهب . ٣) منهج القرآن في بناء المجتمع .
٤) القرآن والقتال . ٥) القرآن والمرأة . ٦) تنظيم النسل .
٧) الى القرآن الكريم . ٨) الفتـــاوى . ٩) الاسلام عقيدة وشريعة .
١٠) تفسير القرآن الكريم الاجزاء العشرة الأولى .

وتوفي الشيخ شلتوت ليلة الجمعة ٢٧ رجب ١٣٨٣ هـ .

سـابعًا : عبد العـزيز جاويش

ولد جاويش في ٣١ اكتوبر ١٨٧٦ م في الاسكندرية ، وبدأ فيها طلب العلم ثم انتقل الى القاهرة في عام ١٨٩٢م ويتميز هذا العام بمميزات عدة لها أثر في تكوينه الفكري بعد ذلك كان الاستعمار يضرب أطنابه وكان الشيخ محمد عبده قد عاد من المنفى وهو يلقى دروس التفسير في الازهر ، وصدرت في هذا العام عشرات الصحف والمجلات .

وقد أتيح له في هذه الفترة ان يلتقي بالشيخ محمد عبده قدمه اليه الشيخ رشيد رضا فحضر مجالسه في عين شمس واتصل به عن قرب وأحبه[3] .

ثم انتقل من الازهر الى دار العلوم حيث أحرز شهادتها سنة ١٨٩٧م

---

(١) المرجع السابق المجلد ٣٥ الجزء السادس شعبان ١٣٨٣ هـ ص ٦٤٧ .
(٢) الأزهر في ألف عام : محمد عبد المنعم خفاجي جـ ٣ ص ١١٢ ـ ١١٣ .
(٣) عبد العزيز جاويش : أنور الجندي ص ٤٢ .

فابتعث الى بريطانيا حيث عاد بعد سنوات ثلاث ليعين مفتشاً في وزارة المعارف الا أنه يعود مرة أخرى الى بريطانيا سنة ١٩٠٢م ليقوم بتدريس اللغة العربية هناك ، وعاد في سنة ١٩٠٦ لعمله الأول مفتشاً في وزارة المعارف في القاهرة حتى استقال عام ١٩٠٨م ليتولى رئاسة تحرير « اللواء » لمدة أربع سنوات هي كل عمّله الصحفي قدم خلالها للمحاكمة ثلاث مرات وحقق معه أربع مرات وسجن مرتين(١) مما اضطره الى السفر في فبراير ١٩١٢(٢) الى تركيا حيث انشأ هناك مجلة (الهلال العثماني) ولم يكف عن الكتابة عن احوال بلاده حتى اتهمته الحكومة المصرية بتوزيع منشورات في مصر فسلمته الحكومة التركية اليها سنة ١٩١٧م ثم عاد الى الاستانة في نفس العام بعد ان ثبتت براءتهمن التهم الموجهة اليه ثم غادرها الى المانيا سنة ١٩١٨م وعاد الى مصر أخيراً سنة ١٩٢٣م .

وعين سنة ١٩٢٥م مديراً للتعليم الى ان توفي في ٢٥ يناير ١٩٢٩م .

وقد عمل جهده مواصلة ما بدأه اساتذته الافغاني ومحمد عبده من « اصلاح » التعليم في الازهر فعمل على ارسال بعثة أزهرية الى أوروبا من نوابغ الازهر فقد كانت البعثات تسافر من كل المدارس ما عدا الازهر ، فجد في جمع المال اللازم لهذا المشروع وقرر أن يكون الزي وسطا بين الشرقي والأوربي فأختار لهم العمامة العالية مع البذلة الافرنجية . وقال عن هذا المشروع رأيت أن أبذر في مصر من الازهريين رجالاً فأرسلهم الى حيث يبلغون العلم الصحيح (!!) ليرجعوا لنا وقد جمعوا منه ما يمكنهم ان يدرسوه لامثالهم الازهريين وقد اشار جاويش إلى أنه اقتفى في ذلك أثر الشيخ محمد عبده في اصلاح الازهر(٣) .

---

(١) المرجع السابق : ص ٥٨ .
(٢) المرجع السابق ص ١١٩ .
(٣) عبد العزيز جاويش : أنور الجندي ص ١٨١ .

منهجه في التفسير :

وضح الشيخ عبد العزيز جاويش هدفه من تفسير القرآن الكريم فقال في مقدمة تفسيره « فكان في جملة ما حملته نفسي على شدة نصبي وكثرة همومي وارتباك شؤوني تفسير القرآن الكريم تفسيراً يمثل للمستهدين ما في هذا الكتاب من الكنوز والدفائن التي حجبتها عن ابصار المسلمين وغيرهم عدة قرون تلك الحجب الكثيفة التي اقامتها دونه جلود التفاسير وخرافات القصاصين وضلالات المبتدعين »[1] .

ثم يصف ما امتاز به تفسيره بقوله « وقد امتاز هذا التفسير بابتعاده عن المماحكات الكلامية والمجادلات اللفظية وبتجافيه عن الالمام بشيء من الضلالات الاسرائيلية والموضوعات الاثرية بل اكتفينا فيه بالاسهاب في بيان اسرار كتاب الله واستخراج ما في بطون آياته من كنوز الاخلاق الالهية والآداب السامية القدسية .

ولقد ندحض اقوال المبطلين بما نسرد من القول المبين دون تصريح باسم من نجادله ولا ذكر للشبهات التي ننقضها ولكننا نشفع بياننا بإشارات يفهم منها الحاذق اللبق أو من سبق لهم مدارسة الكتب الأخرى ماذا عنينا بما نأتيه في تلك المواطن من الأطناب »[1] .

ذلكم منهجه الخاص في التفسير اما المنهج العام فهو ولا شك منهج استاذه محمد عبده وقد تحدث الاستاذ محمد محمد حسين عن منهج جاويش في التفسير فقال : « وأخذ عبد العزيز جاويش في تفسيره للقرآن يسير على منهج الشيخ محمد عبده في ربطه بالظروف القائمة متنقلاً في ذلك بين التاريخ والأدب والاجتماع والسياسة »[1] .

---

(١) اسرار القرآن : عبد العزيز جاويش ص ٨ .

وقال عنه الاستاذ سالم قنيبر أنه « اقتفى آثار الشيخ محمد عبده ونهج منهجه في تفسير القرآن الكريم تفسيراً يسير فيه على نسق يلائم روح العصر »[٢] .

وقال الاستاذ أنور الجندي « وقد حرص جاويش ان يقوم بتفسير القرآن على نحو عصري سلفي على النحو الذي بدأه الشيخ محمد عبده واستمع اليه جاويش في الرواق العباسي سنة ١٩٠١ وهو في كثير من عروضه للاسلام والقرآن يستشهد به ويردد اسمه مسبوقاً بعبارة وقال « أستاذنا »[٣] .

وقال عنه ايضاً « كأنما هو خليفة حقيقي لجمال الدين الافغاني في معالجته لقضايا العالم الاسلامي ووريث أصيل لمحمد عبده في حلوله لمسائل الاصلاح الاجتماعي والتربية »[٤] .

وقد كان السيد رشيد هو الذي جمع بينه وبين محمد عبده حيث قال « اتصل بشيخنا الاستاذ الامام فتلقح ذهنه بأفكاره ، واقتبست بصيرته من انواره ، وكنت أنا الذي قدمته اليه وذكرت له ذكاءه وغيرته وطموحه وهمته وجمعه بين التعليمين الاسلامي والأوربي »[٥] .

وقد كان الاستاذ انور الجندي وضعه « في ثبت الاعلام الذين رجوت ان اكتب عنهم مثل محمد فريد وجدي وعبد العزيز الثعالبي وعبد الحميد

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر : محمد محمد حسين : ج ١ ص ٣٤٠ .
(٢) الاتجاهات السياسية والفكرية والاجتماعية في الأدب العربي المعاصر : سالم قنيبر ص ٢٩٠ .
(٣) عبد العزيز جاويش : أنور الجندي ص ٢٠٣ .
(٤) المرجع السابق ص ٥٩ .
(٥) مجلة المنار : رشيد رضا مجلد ٢٩ جـ ٩ ص ٧١٣ .

ابن باديس وغيرهم من مدرسة جمال الدين وتلامذته »[1] .

أما مؤلفاته فمنها : الاسلام دين الفطرة والحرية ، وارشاد المعلمين ، واسرار القرآن . .

ثامنًا : عبد القادر المغربي

ولد عبد القادر بن مصطفى المغربي في اللاذقية في ٢٤ رمضان ١٢٨٤ هـ ، وانتقل مع والده الى طرابلس الشام وتلقى العلم فيها على ابيه ، ولزم الشيخ حسين الجسر علامة طرابلس . وتحدث المغربي عن الاطوار التي مر بها في طلبة العلم الى أن قال « . . . غير أني لما اتصلت بالسيد الافغاني وانعمت النظر في دراسة تعاليمه انتقلت في حياتي الفكرية الى الدور الثالث أو الطور الثالث ، وهو ان نفهم النص الديني فهما صحيحاً مراعى فيه قوانين اللغة وقواعد بلاغتها ونستوثق من مطابقة النص للكتاب والسنة ثم نجرأ على التصريح بما فهمنا من النص سواء أوافق رأي غيرنا أم لا ، وقد اقتبسنا هذه الطريقة في الفهم من اقوال السيد الافغاني وتعاليمه المروية المبثوثة في العروة الوثقى أولاً ثم في سائر ما علق بكفنا من كتاباته وكتابات تلميذه الشيخ محمد عبده ثانياً »[2] .

وبداية صلته بالمدرسة كزميله السيد رشيد بدأت عن طريق مجلة العروة الوثقى « أخذت ابحث عن اعدادها وكانت ثمانية عشر عدداً مبعثرة لدى بعض فضلاء طرابلس . . وكان شريكي في هذا الحرص الشيخ رشيد وكان هو ينسخ المهم من مقالاتها أما أنا فكنت انسخها بقلمي من الفها الى يائها »[3] ودفعه الشوق الى رؤ ية جمال الدين وكان في سنة ١٣١٠ هـ مقيماً في الاستانة فسافر اليه وظل في جواره سنة واحدة أفاد منه فوائد جليلة[4] .

---

(١) عبد العزيز جاويش : أنور الجندي ص ٤ .
(٢) جمال الدين الأفغاني ذكريات وأحاديث : عبد القادر المغربي ص ٤٥ .
(٣) المرجع السابق ص ١٤ .
(٤) محاضرات عن عبد القادر المغربي : محمد أسعد طلس ص ١٨ .

وأولع بعدئذ بدراسة آثار الشيخ محمد عبده واستدعاه الامام محمد عبده الى مصر حيث المجال للدعوة آنذاك أرحب واوسع[1] وكان استدعاؤه ذلك بعد الافراج عن المغربي من المعتقل وذلك لتهجمه على الخلافة الاسلامية في الآستانة وتنديده بها كسائر تلاميذ المدرسة .

ولما انتقل الى مصر عمل في الصحافة وكان له نشاط كبير فيها ومما نشره في المؤيد يومئذ مقال بعنوان (حجاب المرأة في الاسلام) وحمل عليه المحافظون من أجله[2] .

وقد عرض عليه الاستعمار الفرنسي منصب الافتاء بطرابلس للافادة منه كما استفاد الاستعمار البريطاني من الشيخ محمد عبده بتوليته منصب الافتاء في البلاد المصرية ـ لكن المغربي رفض ذلك[3] .

وقد كانت أعنف فترة في حياته خلال سنتي ١٩٠٦م ـ ١٩١١م ـ فقد قام فيما بين هذين العامين بحملة على الحجاب ودعا الى سفور المرأة وقد وصف من احوال نساء أوربا وامريكا ومخالطتهن للرجال ما يشعر باستحسانه له وتمنيه لنسائنا مثله حتى هاج عليه الشيوخ[4] .

وهو يرجو من قاسم أمين ان يتحفنا بكتاب في المرأة يكون ثالث القمرين (يعني كتابي تحرير المرأة ، والمرأة الجديدة ، لقاسم أمين) وشاهدا لصاحبه بالحسنيين »[5] .

تفسيره :

قام الاستاذ عبد القادر المغربي بتفسير جزء تبارك : وهو يرى أن جزءي

---

(١) محاضرات عن عبد القادر المغربي : محمد أسعد طلس ص ١٨ .
(٢) المرجع السابق ص ٢١ .
(٣) المرجع السابق ص ٢٢ .
(٤) المرجع السابق ص ٥٢ .
(٥) المرجع السابق ص ٥٣ .

عَمَّ وتبارك جديران بأن يفسر كل منهما تفسيراً حسن الوضع صحيح الأسلوب يقرب من اذهان العامة ولا تتجافى عنه عقول الخاصة فيقتصر فيه من القول على ما يكشف الغموض عن الآيات من جهة اللغة والاعراب ثم يشرح فيه المعنى المتبادر شرحاً وسطاً مجرداً عن التنطع بالمشاغبات وايراد الخلافات والخرافات .

وقد وضع مولانا الاستاذ الشيخ محمد عبده رحمه الله تفسيراً لجزء عَمَّ توخَّى فيه هذا النمط والأسلوب »[1] .

ثم ذكر أنه رغب في تأليف تفسير لجزء تبارك « على مثال تفسير شيخنا وطريقته بيد أني رأيت ان اتوسع قليلاً في التعليق والتفسير والاستشهاد والتنظير ـ ولا سيما في المباحث اللغوية بأكثر مما فعله الاستاذ رحمه الله في تفسير جزء عم مراعياً في ذلك حال قراء جزء تبارك ومقدراً في نفسي انهم سيكونون اكبر سناً ، وأَتَمَّ استعداداً واشد اهتماماً بالتحصيل من قراء جزء عَمَّ »[1] .

هذا ما ذكره الاستاذ عبد القادر المغربي عن طريقته في التفسير . وقد طبع تفسيره لجزء تبارك في ست وثلاثين ومئة صفحة من الحجم الكبير وطريقته في ذلك ان يذكر النَصَّ القرآني أولاً ثم يعود متتبعاً كلمات النَصَّ واحدة بعد الأخرى مبيناً معناها اللغوي وإعرابها ثم معناها العام ضمن السياق وقد يتوسع قليلاً في بيان وشرح بعض الآيات بعد بيان مفرداتها مبيناً ما جَدَّ من العلوم مما يتعلق بتفسيرها وينقل كثيراً عن الاسفار القديمة ما يراه بياناً للآيات ويخطىء احياناً فينقل منها ما يخالف النص القرآني[2] ويتوسع في بيان الآيات التي تعرض الاخلاق والآداب الاسلامية السامية في اسلوب الدعوة وغيرها . وله عناية ببيان اسرار البلاغة القرآنية واسلوب التعبير القرآني .

---

(١) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربي ص ٣ .

(٢) انظر ص ٣٢٧ من هذه الدراسة .

مؤلفاتــه :

وكان للمغربي عدد كبير من المؤلفات نذكر منها :

١ ـ كلمتان في السفور والحجاب : طبع سنة ١٩١٠ ـ ١٩١١م .
٢ ـ محاضرات عن (محمد ﷺ والمرأة) طبع سنة ١٣٤٧ هـ .
٣ ـ جمال الدين الأفغاني ذكريات واحاديث نشر في سلسلة إقرأ ١٩٤٨م .
٤ ـ تفسير جزء تبارك طبع عدة مرات .
٥ ـ على هامش التفسير طبع سنة ١٣٦٨ هـ .

أما آخر ما كتب فـ « النجم الآفل » وهي ترجمة لرواية « غادة الكاميليا » للاسكندر دوماس ووضع الشيخ المغربي فيها اشعاراً وادواراً غنائية حيث عرضت على الجماهير في المسرح في ٣ اكتوبر ١٩٠٨ م ويظهر ان المغربي لم يكن يرغب في ان يعرف الناس انه قد ترجم هذه الرواية وانه نظم أغانيها ووضع أدوارها الغنائية فرفض طبعها ونشرها . ويظهر انه كان لا يحب ان يعرف عنه انه اهتم بالروايات والمسرحيات لما في ذلك من الغض من سمعته ومكانته الدينية[1] .

وتوفى في دمشق ٢٧ شوال ١٣٧٥ هـ الموافق ١٩٥٦م .

تاسعًا : أحمد مصطفى المراغي

هو احمد بن مصطفى بن محمد بن عبد المنعم ، ولد ببلدة المراغة من اعمال مديرية جرجا بصعيد مصر سنة ١٣٠٠ هـ ١٨٨٣م .

بدأ تعليمه في كتاب القرية فحفظ القرآن وجوده ثم رحل الى الأزهر الشريف سنة ١٣١٤ هـ وتلقى العلم على جلة اشياخه كالاستاذ الامام محمد عبده ، ومحمد بخيت المطيعي واحد الرفاعي الفيومي وغيرهم ، وعندما

---

(١) محاضرات عن عبد القادر المغربي : محمد أسعد طلس ص ٥٩

شارف نهاية الدراسة الازهرية انتقل الى كلية دار العلوم وتخرج منها سنة ١٣٢٦ هـ ١٩٠٩م فعيّـن مدرساً بالمدارس الاميرية ثم ناظراً لمدرسة المعلمين بالفيوم ثم ندب إلى السودان استاذاً للشريعة الإسلامية بكلية غوردون ثم عاد الى مصر استاذا للغة العربية والشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم[١] .

مؤلفاتــه :

للشيخ احمد مصطفى المراغي مؤلفات عديدة نذكر منها :ـ

١ ـ تفسير القرآن الكريم وسماه « تفسير المراغي » وسيأتي الحديث عنه .

٢ ـ مقدمة التفسير .

٣ ـ علوم البلاغة .

٤ ـ هداية الطالب وهو جزءان الأول في النحو والتصريف والثاني في علوم البلاغة .

٥ ـ « بحوث وآراء » في فنون البلاغة .

٦ ـ الحسبة في الاسلام ـ ٧ ـ الديانة والاخلاق ، وغير ذلك كثير[٢] .

منهجه في التفسير :

بلغ « تفسير المراغي » ثلاثين جزءاً في عشرة مجلدات واستغرق زمناً سبع سنين وأتمه في سلخ ذي الحجة سنة ١٣٦٥ هـ .

وقد وضح الشيخ احمد المراغي نهجه الذي سكله في تفسيره هذا بما ننقله مختصراً حيث قال : نهجنا الذي سلكناه في هذا التفسير : ـ

١ ـ ذكر الآيات في صدر البحث .

---

(١) الفتح المبين في طبقات الأصوليين : ـ عبد الله مصطفى المراغي ص ٢٠٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ .

صدرنا كل بحث بآية او آيتين او آيات من الكتاب الكريم سيقت لتؤدي غرضاً واحداً .

٢ ـ شرح المفردات .

اردفنا ذلك تفسير مفرداتها اللغوية إن كان فيها بعض الخفاء على كثير من القارئين .

٣ ـ المعنى الجملي للآيات .

اتبعنا ذلك بذكر المعنى الجملي لهذه الآية ، أو الآيات ليتجلى للقارىء منها صورة مجملة حتى إذا جاء التفسير وضح ذاك المجمل .

٤ ـ اسباب النزول .

اعقبنا ذلك بما ورد من اسباب النزول لهذه الآيات إن صح شيء من ذلك لدى المفسرين بالمأثور .

٥ ـ الاعراض عن ذكر مصطلحات العلوم .

ضربنا صفحاً عن ذكر مصطلحات العلوم من نحو وصرف وبلاغة الى اشباه ذلك مما ادخله المفسرون في تفاسيرهم .

٦ ـ اسلوب المفسرين .

رأينا ان الاساليب التي كتبت بها كتب التفسير وضعت في عهود سحيقة بأساليب تناسب اهل العصور التي ألفت فيها ويسهل عليهم فهمها . . فكان لزاماً علينا ان نتلمس لونا من التفسير لكتاب الله بأسلوب عصرنا موافقاً لامزجة أهله . .

٧ ـ تمحيص روايات كتب التفسير : ـ

. . . رأينا ان لا نذكر رواية مأثورة الا اذا تلقاها العلم بالقبول ولم نَرَ فيها ما يتنافر مع قضايا الدين التي لا خلاف فيها بين اهله وقد وجدنا ان ذلك

اسلم لصادق المعرفة واشرف لتفسير كتاب الله . . »[1] .

وَعَدَّ الشيخ المراغي من مراجعة تفسير المنار وقال عنه « وقد كان له فضل كبير فيما اقتبسناه اثناء تفسير الاجزاء التي فسرها »[2] .

والحق انه ينقل عنه نقلاً كثيراً حتى أصبح تفسيره أقرب الى كونه مختصراً لتفسير المنار في الاجزاء التي فسرها صاحب المنار .

وفـــاتـــه :

وتوفي الشيخ احمد مصطفى المراغي سنة ١٩٥٢م[3] .

---

(١) تفسير المراغي جـ ١ ص ١٦ ـ ١٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٢ .

(٣) الأزهر في الف أعام : محمد عبد المنعم خفاجي جـ ٢ ص ٤٩ .

الباب الثاني

منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير

الاساس الاول : الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية .

الاساس الثاني : الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم .

الاساس الثالث : القرآن هو المصدر الاول للتشريع

الاساس الرابع : الشمول في القرآن .

الاساس الخامس : ترك الاطناب فيما ورد مبهماً في القرآن الكريم .

الاساس السادس : التفسير العلمي الحديث .

الاساس السابع : المنهج العقلي في التفسير .

الاساس الثامن : التحذير من الاسرائيليات .

الاساس التاسع : التقليل من شأن التفسير بالمأثور .

الاساس العاشر : انكار التقليد وذمه والتحذير منه

الاساس الحادي عشر : الاصلاح الاجتماعي .

منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير

يحدد رجال المدرسة التفسير المطلوب للقرآن الكريم بأنه « فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس الى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة فان هذا هو المقصد الاعلى منه وما وراء هذا من المباحث تابع له او وسيلة لتحصيله »[1] .

ويرى الشيخ احمد مصطفى المراغي في تفسيره ان هذا هو ما يطلبه الله منا في التفسير لم يطلب منا سواه فقال « ولما كان القرآن كتابا سماويا تنزل على قلب اكمل الانبياء مشتملا على معارف عاليه ومطالب ساميه ، يجد المنقب عنها من الهيبة والجلال ما يكاد يحول بينه وبين الوصول اليها سهّل سبحانه الأمر علينا ، فلم يطلب منا الا الفهم والتدبر في كلامه لأنه نزله نوراً وهدى للناس ، وجعله حاويا للشرائع والاحكام التي لا يمكن العمل بها الا اذا فهمت حقّ الفهم ، واستوضحت مغازيها وكشفت اسرارها ومراميها ، من حيث هي دين الهي وهدي سماوي ، ترشد الناس الى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيوية والأخروية ، وما سوى ذلك من وجوه النظر والبحث فتابع لذلك ، ووسيلة اليه في التحصيل ، ولا يعنينا العناية التي نهتم لها اهتمامنا بالمطلب الاول »[2] .

---

(١) فاتحة الكتاب : للشيخ محمد عبده ص ٥ وتفسير المنار محمد رشيد رضا جـ ١ ص ١٧ .

(٢) تفسير المراغي : احمد مصطفى المراغي جـ ١ ص ١١ .

وهم يريدون بهذا ان يلقوا اللوم على كثير من المفسرين السابقين بشتى مذاهبهم ومناهجهم في التفسير - الذين اشتغلوا بوسائل التحصيل عن المقصد الاعلى والمطلب الاسمى ، اذ يرى الشيخ احمد المراغي أن « كثيرا من المفسرين جعلوا عنايتهم تكاد تكون وقفا على الوسائل دون المقاصد »(١) لهذا يرى السيد رشيد رضا انه « كان من سوء حظ المسلمين ان اكثر ما كتب في التفسير يشغل قارئه عن هذه المقاصد العالية والهداية الساميه ، فمنها ما يشغله عن القرآن بمباحث الاعراب وقواعد النحو ، ونكت المعاني ومصطلحات البيان ومنها ما يصرفه عنه بجدل المتكلمين وتخريجات الاصوليين ، واستنباطات الفقهاء المقلدين ، وتأويلات المتصوفين ، وتعصب الفرق والمذاهب بعضها على بعض ، وبعضها يلفته عنه بكثرة الروايات وما مزجت به من خرافات الأسرائيليات ، وقد زاد الفخر الرازي صارفا آخر عن القرآن هو ما يورده في تفسيره من العلوم الرياضية والطبيعية وغيرها من العلوم الحادثة في المله على ما كانت عليه في عهده ، كالهيئة الفلكية اليونانية وغيرها »(٢) .

لهذا فللتفسير - كما يرى الشيخ محمد عبده - وجوه شتى : -

(**احدها**) النظر في اساليب الكتاب ومعانيه وما اشتمل عليه من انواع البلاغه ليعرف به علو الكلام وامتيازه على غيره من القول ، سلك هذا المسلك الزمخشري ، وقد ألّم بشيء من المقاصد الاخرى ونحا نحوه آخرون .

(**ثانيها**) الاعراب وقد اعتنى بهذا اقوام توسعوا في بيان وجوهه وما تحتمله الالفاظ منها .

(**ثالثها**) تتبع القصص وقد سلك هذا المسلك اقوام زادوا في قصص القرآن ما شاءوا من كتب التاريخ والاسرائيليات . . الخ .

---

(١) المرجع السابق جـ ١ ص ١١ .

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٧ .

(**رابعها**) غريب القرآن .

(**خامسها**) الاحكام الشرعية من عبادات ومعاملات والاستنباط منها ، وقد جمع بعضهم آيات الاحكام وفسرها وحدها ومن اشهرهم ابو بكر بن العربي ، وكل من يغلب عليهم الفقه من المفسرين يعنون بتفسير آيات احكام العبادات والمعاملات اكثر من عنايتهم بسائر الآيات .

(**سادسها**) الكلام في اصول العقائد ومقارعة الزائغين ومحاجة المختلفين . وللامام الرازي العناية الكبرى بهذا النوع .

(**سابعها**) المواعظ والرقائق ، وقد مزجها الذين ولعوا بها بحكايات المتصوفة والعباد ، وخرجوا ببعض ذلك عن حدود الفضائل والآداب التي وضعها القرآن .

(**ثامنها**) ما يسمونه بالاشارة . وقد اشتبه على الناس فيه كلام الباطنية بكلام الصوفية ، ومن ذلك التفسير الذي ينسبونه للشيخ الاكبر محي الدين بن عربي ، وانما هو للقاشاني الباطني الشهير ، وفيه من النزعات ما يتبرأ منه دين الله وكتابه العزيز »[1] .

ويعقب رجال المدرسة العقلية على هذا بأن الاكثار في مقصد خاص من هذه المقاصد يخرج بالكثيرين عن المقصود من الكتاب الالهي ويذهب بهم في مذاهب تنسيهم معناه الحقيقي وهو فهم الكتاب من حيث هو دين وهداية للناس في دنياهم وآخرتهم[2] .

وحتى يكون التفسير في المرتبة العليا لا بد من تحقق امور في المفسر هي كما يراها الشيخ محمد عبده : ـ

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ١٧ ـ ١٨ وتفسير المراغي : احمد مصطفى المراغي جـ ١ ص ١١ ـ ١٢ .

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٢١ ـ ٢٤ باختصار وفاتحة الكتاب محمد عبده ص ٩ ـ ١٢ وتفسير المراغي جـ ١ ص ١٣ .

(**احدها**) فهم حقائق الالفاظ المفردة التي اودعها القرآن بحيث يحقق المفسر ذلك من استعمالات اهل اللغة غير مكتف بقول فلان وفهم فلان . . الخ .

(**ثانيها**) الاساليب فينبغي ان يكون عنده من علمها ما يفهم به هذه الاساليب الرفيعة وذلك يحصل بممارسة الكلام البليغ ومزاولته ، مع التفطن لنكته ومحاسنه والعناية بالوقوف على مراد المتكلم منه .

(**ثالثها**) علم احوال البشر . . فلا بد للناظر في هذا الكتاب من النظر في احوال البشر في اطوارهم ، وادوارهم ، ومناشىء اختلاف احوالهم ، من قوة وضعف ، وعزّ وذلّ ، وعلم وجهل ، وايمان وكفر ، ومن العلم بأحوال العالم الكبير ، علوية وسفليه ، ويحتاج في هذا الى فنون كثيرة من اهمها التاريخ بأنواعه .

(**رابعها**) العلم بوجه هداية البشر كلهم بالقرآن . فيجب على المفسر القائم بهذا الغرض الكفائي ان يعلم ما كان عليه الناس في عصر النبوة من العرب وغيرهم ، لأن القرآن ينادي بأن الناس كلهم كانوا في شقاء وضلال ، وان النبي ﷺ بعث به لهدايتهم واسعادهم ، وكيف يفسر المفسر ما قبحته الآيات من عوائدهم على وجه الحقيقة او ما يقرب منها اذا لم يكن عارفا بأحوالهم ، وما كانوا عليه ؟

(**خامسها**) العلم بسيرة النبي ﷺ واصحابه ، وما كانوا عليه من علم وعمل وتصرف في الشؤون دنيويها واخرويها »[1] .

ويرى السيد رشيد ان الذي « يفهم القرآن ويفقه فيه من كان نصب عينه ووجهه قلبه في تلاوته في الصلاة وفي غير الصلاة ما بيّنه الله تعالى فيه من موضوع تنزيله ، وفائدة ترتيله ، وحكمة تدبره ، من علم ونور ، وهدى

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٢١ ـ ٢٤ باختصار وفاتحة الكتاب : محمد عبده ص ٩ ـ ١٢ .

ورحمة ، وموعظة وعبره ، وخشوع وخشية ، وسنن في العالم مطرده ، فتلك غاية انذاره وتبشيره ، ويلزمها عقلا وفطرة : تقوى الله تعالى بترك ما نهى عنه ، وفعل ما أمر به بقدر الاستطاعة ، فانه كما قال ﴿ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ ﴾ »[1] .

لهذا وذاك ولأجل تفاوت المفسرين في الاتيان بهذه الشروط التي ذكرها الشيخ محمد عبده والتفاوت في مدى التزامهم للهدف الذي طلبه الله منا في التفسير ـ كما حددوه ـ قسّم الشيخ محمد عبده التفسير الى قسمين : ـ

(**احدهما**) جاف مبعد عن الله وعن كتابه ، وهو ما يقصد به حلّ الالفاظ واعراب الجمل وبيان ما ترمي اليه تلك العبارات والاشارات من النكت الفنية وهذا لا ينبغي ان يسمى تفسيرا ، وانما هو ضرب من التمرين في الفنون كالنحو والمعاني وغيرهما .

(**ثانيهما**) وهو التفسير الذي قلنا : انه يجب على الناس على انه فرض كفاية ، هو الذي يستجمع تلك الشروط لأجل ان تستعمل لغايتها وهو ذهاب المفسر الى فهم المراد من القول وحكمة التشريع في العقائد والاحكام . على الوجه الذي يجذب الارواح ، ويسوقها الى العمل والهداية المودعة في الكلام ليتحقق فيه معنى قوله «﴿ هدى ورحمة ﴾ ونحوهما من الأوصاف ، فالمقصد الحقيقي وراء كل تلك الشروط والفنون هو : ـ الاهتداء بالقرآن »[2] .

ولأجل هذا الهدف وضع الشيخ عبده وتلاميذه تفاسيرهم للقرآن الكريم قال الاستاذ الامام محمد عبده ـ بعد ما نقلناه آنفا ـ « وهذا هو الغرض الأول الذي ارميَ اليه في قرآءة التفسير »[3] .

ويرى السيد رشيد ان « الحاجة شديدة الى تفسير تتوجه العناية الاولى

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٧ .
(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ٢٤ ـ ٢٥ .
(٣) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٢٥ .

فيه الى هداية القرآن على الوجه الذي يتفق مع الآيات الكريمة المنزلة في وصفه ، وما انزل لاجله من الانذار والتبشير والهداية والاصلاح . . . ثم العناية الى مقتضى حال هذا العصر ، في سهولة التعبير ، ومراعاة افهام صفوف القارئين ، وكشف شبهات المشتغلين بالفلسفة والعلوم الطبيعية وغيرها »(١) .

أما الشيخ احمد مصطفى المراغي فيرى « ان الاساليب التي كتبت بها كتب التفسير وضعت في عهود سحيقة بأساليب تناسب اهل العصور التي ألفت فيها ويسهل عليهم فهمها ، وان جمهرتهم او جزوا في القول وعدوا ذلك مفخرة لهم ، ولما كان لكل عصر طابع خاص يمتاز به عن غيره في آداب اهله واخلاقهم وعاداتهم وطرائق تفكيرهم ـ وجب على الباحثين في هذا العصر مجاراة اهله في كل ما تقدم ، فكان لزاما علينا ان نتلمس لونا من التفسير لكتاب الله باسلوب عصرنا موافقا لا مزجة اهله ، فأساس التخاطب ان لكل مقام مقال . وان الناس يخاطبون على قدر عقولهم ، وقد رأينا أن نشيد فيه بجهود السابقين معترفين بفضلهم ، مستندين الى آرائهم »(٢) .

لهذا ولغيره من الأسباب اعتنى رجال المدرسة العقلية الحديثة بالتفسير ، ومن قرأ تفاسيرهم ادرك ان لهم منهجا خاصا بهم سلكوه في تفسيرهم للقرآن .

ونرى لزاما علينا ان نبين هنا انهم قد يتفقون مع منهج السلف في بعض اسس منهجهم وقد يخالفونه ، كما انهم في بعضها قد يتفقون معهم من ناحية تقرير الاساس والتسليم به لكنهم يتطرفون في تطبيقه ويتجاوزون حدود السلف فيه .

ولعلنا حينما نذكر هنا كل هذه الاسس ما وافقوا فيه السلف وما خالفوه

---

(١) المرجع السابق جـ ١ ص ١٠ .
(٢) تفسير المراغي : احمد مصطفى المراغي جـ ١ ص ١٧ .

به لعلنا حينما نفعل هذا نكون قد ابرزنا الصورة الكاملة لمنهجهم حتى تظهر لنا معالمه وخطوطه واضحه بينه الحسن منها والقبيح فلا نبهتهم باخفاء الحسن ولا نطمس الحقيقة باخفاء القبيح .

وسنذكر كل ما أمكن ـ ان شاء الله ـ مذهب السلف في كل اساس من أسس منهجهم حتى تمكن المقارنة بين المنهجين وندرك مدى انحراف المدرسة العقلية فيه .